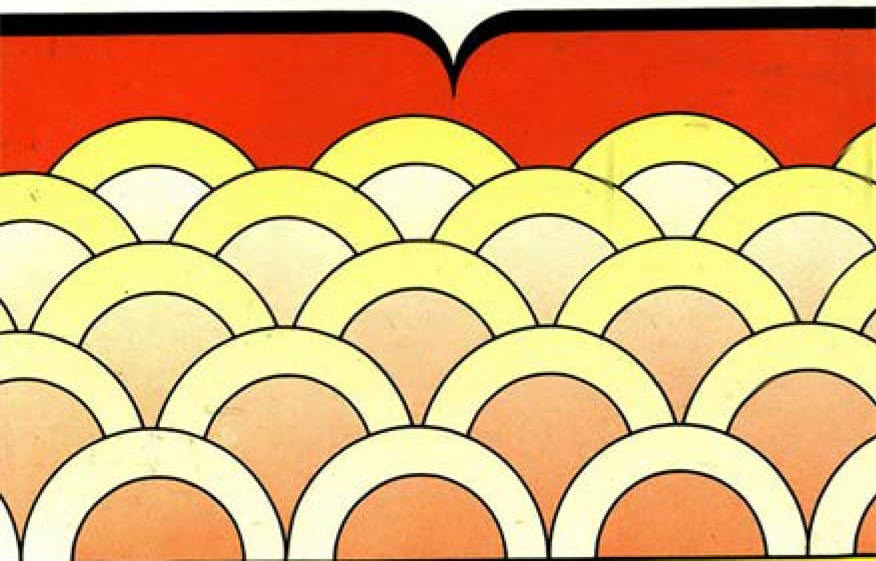
الدكتور مصطفى غالب

في سبيل موسوعة فلسفية

١٤

سقراط



دار ومكتبة الهلال

سقراط



في سبيل
موسوعة
فلسفية
١٤

سقراط

تأليف
الدكتور مصطفى غالب

منشورات
دار ومكتبة الهلال

طبعة جديدة منقحة

١٩٨٩

بيروت - بئر العبد - شارع مكرزل - بناية برج الضاحية

ملك دار الهلال تلفون ٨٣٦٩٨١ - ٤٦٣٥٥٧

ص.ب ١٥/٥٠٠٢ برقياً مكتبهلال

مقدمة

اذا سبرنا أعماق المحاورات الفلسفية العقلانية التي كتبها أفلاطون تلميذ سقراط النشيط المقرب وساعده الأيمن ، خاصة فيدون ، وأقريطون ، واطيفرون ، والدفاع الذي ألقاه سقراط أمام المحكمة التي أصدرت حكمها الجائر عليه بالاعدام، لاحظنا بأن هذه المحاورات تجسد بعمق ودقة فلسفة سقراط الروحية التي انطلقت من ذاته الخيرة المعطاة وبلغت قمتها على يد تلميذه أفلاطون •

وأفلاطون يستعرض أفكار معلمه العقلانية في الدين والدولة والقانون وعقائده في الأخرويات من دينونة وخلود ، ومبدأ ومعاد ، مستعينا بالرموز

الغامضة والاشارات المبهمة التي درج على نهجها حكماء ذلك العصر ، مقدما الركائز الأساسية لعلم التوحيد والتجريد والتنزيه ، بالاضافة الى مداميك الأخلاق السامية المثالية الناهدة الى الكمال المطلق للنفس البشريـة أثناء وجودهـا في عالم الكـون والفساد ٠

ومما لا شك فيه بأن المحاورات الافلاطونيـة كانت تنهد الى رسم صورة كاملة تمثل شخصيـة سقراط تمثيلا صادقا ، وتعرض أفكاره العرفانية بقالب من الحوار العقلاني ، كما كان يفعـل في حياته الفعلية بين تلامذته ، فهو كثير السؤال ، قليل الجواب ، حاضر البديهة ، لاذع السخرية ، يحاور محدثه ويداوره ، آخذا بزمامه الى غاية خلقية قصد اليها ورتب لها الحديث ، وكذلك تتسم بعض هذه المحاورات باظهار جوانب أخرى مـن صور سقراط الفلسفية ، ونزعته المثالية ، وأفكـاره الروحية الماورائية ٠

ففي الحوار الأول « أوطيفرون » يظهر سقراط في ثوب المعلم الذي يحاول بما أوتي من قوة الجدل أن يوقظ الناس من سباتهم ، فلا ينقادون انقياد

الأعمى الى ما ورثوه من أفكار لم توضع على محك البحث والاختبار ، ويحاول بأسلوب علمي صحيح أن يثير فيهم غريزة البحث في معاني الاحكام التي يرسلونها ارسالا عن ايمان ساذج في مسائل الاخلاق، فتراه يلتمس مع محدثه تعريفا للتقوى لكي ينتهي بمحاوره إلى العقيدة بضعف الاساس الخلقي الذي يقيم عليه دعاة تعدد الآلهة مذهبهم ، فهو يرى بعد البحث أن الفعل لا يكون صالحا الا اذا صادف قبولا من الآلهة جميعا ، ومن ثم ينشأ اشكال آخر وهو : هل يكون الفعل صالحا لأنه يرضي الآلهة ، أم أن الآلهة يرضون عنه لأنه صالح ؟ فاذا صح الفرض الأخير كان تعريف التقوى هو أنها جزء من العدالة ــ ولكن العدل بصفة عامة يتعلق بما نلتزم به نحو الناس من واجبات ، ولا شأن له فيما بيننا وبين الآلة من صلة ، وهنا لا بد للمطالع من الدخول في بحث تحليلي للموضوع : فهل تقتضي خدمتنا للآلهة واجبات خاصة غير ما نقوم به من واجب اجتماعي ؟ ويخلص من حواره الى أن التقوى تنحصر في فعل ما يرضي الآلهة ، وهو نفس التعريف الذي قرر المتحاوران رفضه باديء ذي بدء باعتباره ناقصا لا يفي بالغرض ، والتقوى بنظر سقراط

ليست جزءا من الاخلاق ، ولكنها مظهرها الديني فحسب .

والحوار الثاني الذي قدمه أفلاطون باسم « الدفاع » فقد صور فيه دفاع سقراط وما قاله أمام المحكمة حول الرسالة التي كلفته الآلهة بأدائها، فكأنما أرسل ليوقظ الأثينيين من رقادهم واستسلامهم للأفكار التقليدية الموروثة وليحملهم على ضرورة التفكير والتأمل في معنى حياتهم والغاية منها ، اذ هم يعيشون في جهالة يزيد في حلكتها وخطورتها ما يتوهمونه في أنفسهم من علم ومعرفة ، لأنهم بسبب هذا الوهم يرون أنفسهم أهلا لأن يصدروا أحكاما في مسائل الاخلاق كلها .

وفي محاورة الدفاع نلاحظ أن سقراط يرى أن هنالك غرضا خلقيا واحدا من أجله ينبغي أن يحيا الناس أجمعون اذا ما عرفوا حقيقة طبيعته ، فكل الناس ينشدون الخير ، وأما المال والشرف والمنزلة الرفيعة بين الناس وما الى هذه الأمور فليست تستحب الا لأنها وسائل للخير، وبذلك ألقى سقراط على الحياة نظرة بما عرف فيه من ادراك سليم مستقيم عملي ، فرأى أنه خير للمرء أن يموت من

أن ينزل عن أداء واجبه ، نعم ان الموت بلاء فادح ، لا بد للمخلوق من تقبله برحابة صدر لأنـه حق فرضه الباري وأوجبه ، فمن الواجب أن لا يخشاه الانسان حسب رأي سقراط لأنه اما أن يكون حالة من اللاشعور ، فلا بأس فيه ، أو أننا سنحيا بعد الموت في عالم آخر نلتقي فيه بخير الرجال وأعلامهم الذين عاشوا فيما مضى ، وكلتا الحالتين لا تبعثان على الخوف ٠

وتطلع علينا محاورة « أقريطون » بوصـف دقيق لحياة سقراط وهو في سجنه يرقب الموت ، وأقريطون صديقه الحميم الى جواره يحرضه على الهروب من السجن قبل أن ينفذ فيه الحكم بالموت ، ولكن سقراط يرفض الهرب ، ويحلل موقفه متطلعا بقوة وعزم الى ضرورة عـدم جـدوى القوانـين والأنظمة التي أوجدتها الدولة ، فلا بد له من أن يقبل الموت حتى لا يحنث في عهده للدولة وخضوعه التام لقوانينها ٠

مصطفى غالب

. رة سقراط وحياته :

لا نعرف الا القليل عن حيــاة سقراط وسيرته الذاتية ، فقد ولد سقراط في أثينا عام ٤٦٩ ق٠م٠ وكان والده مثالا وأمه قابلة ٠ التحق في شبابــه بصفوف الجيش ، ولفت الانظار اليه بما أظهره من شجاعة واقدام ٠

ولما بلغ الخمسين من عمره تزوج من كزانتيبي التي خلدتها سلاطتها كزوجة ، وشراستها كامرأة ونزقها كربة بيت وأم ٠ مما جعل زوجها سقراط يطلق صيحته المشهورة التي خلدها الدهر وأصبحت قولا مأثورا تردده الأجيال : « تزوج يا بني فان وفقت في زواجك عشت سعيدا ، وان لــم توفــق أصبحت فيلسوفا » ٠

ويحدثنا ويل ديورانت في كتابه قصة الفلسفة(١) عن سقراط فيقول : « اذا جاز لنا أن نحكم ، استنادا الى التمثال النصفي ، الذي وصل الينا من النحت القديم ، نقول بأن سقراط كان بعيدا عن الجمال ، البعد الذي بمقدور حتى الفيلسوف أن يكون منه • فرأسه أصلع ، ووجهه ضخم مستدير ، وعيناه غائرتان محملقتان ، وأنفه عريض زهير ، وفرتفكهة حية للكثير من المحافل ـ لقد كان رأس عتال ، أكثر من كونه رأس أوسع الفلاسفة شهرة • ولكننا اذا نظرنا الى الرأس ثانية ، فاننا نرى ، من خلال الحجر الغشيم ، شيئا ما من ذاك اللطف الانساني وتلك البساطة الوديعة ، اللذين جعلا من هذا المفكر الأنيس الودود معلما يستقطب حب أجمل شباب أثينا ، اننا لنعرف ، حقا بالقليل القليل عنه ، ومع ذلك ، فاننا ما نعرفه عنه فيه من الود أكثر بكثير مما نجده لدى أفلاطون الارستقراطي ، أو أرسطو المتحفظ العليم • فبمقدورنا ـ ى أن نرى ، عبر ألفين وثلاثمائة من الأعوام ، شخصه القبيح المنظر ، مرتديا دائما رداء متعفنا ، يمشي الهويناء في السوق ، غير مكترث ببابل السياسات ،

(١) قصة الفلسفة : ويل ديورانت ترجمة الشيباني ص (٥٧ ـ ٥٨) •

يمسك بتلابيب فريسته ، حاشدا الفتيان والمثقفين حوله ، يفويهم بالسير واياه الى زاوية ظليلة من زوايا أروقة المعبد ، ويطلب اليهم تحديد تعابيرهم .

لقد كان هؤلاء الفتيان الذين توافدوا عليه وحدانا وزرافات ، ومدوا له يد العون لخلق فلسفة أوروبية ، جمهورا متنافرا اختلط حابله بنابله . فبينهم كان يوجد شباب أغنياء موفور الثراء كأفلاطون والسبياديس ، اللذين استساغا تحليله الساخر الهجاء للديمقراطية ، وكان بينهم الاشتراكيون ، كأنتيستنيس ، والذين أعجبوا بفقر الأستاذ اللامبالي ، وجعلوا هذا الفقر دينا ، وكان بينهم حتى فوضوي أو فوضويان ، كاريستبوس ، الذي كان يطمح الى عالم لن يكون فيه سادة أو عبيد ، وحيث يكون جميع أهله أحرارا كسقراط ، وعلى صورة لا يشوبها غم ولا هم » .

ورغم عدم ادراكنا لحياة هذا الفيلسوف العظيم يمكننا في ضوء المعلومات النادرة التي وصلتنا عنه أن نعتبره بحق من أولئك الحكماء الذين وقفوا أنفسهم وانتاجهم العرفاني لنشر مبادىء الحق والعدالة والمساواة ، منطلقا بما يتفاعل في أعماقه

من قيم خيرة جعلها نبراسا لهداية البشرية ،وتبشير أبناء الانسانية بالقيم الخيرة الناهدة الى محاربة الفساد والانحراف والضلال .

ومما لا شك فيه أن سقراط هذا الحكيم الرباني كان شديد التمسك بالايمان على أسس أخلاقية سامية ، ترتكز في منطلقاتها الأساسية للحياة ، وكان في طليعة من نادى بضرورة التوحيد، وشنها حربا شعواء لا هوادة فيها على عقيدة تعدد الآلهة والأرباب ، فضلا عن أنه كان الحكيم الرباني الأول الذي مهد لظهور المذهب المسيحي الاخلاقي ، وأوجب على الانسان العارف أن يعامل الشر بالشر، ويناضل في سبيل استئصال الجريمة بالجريمة ، والاثم بما يماثله .

ويعتبر سقراط المعلم الاول الذي فرض على الانسان حب الحقيقة لا أملا بتحقيق فائدة أو كسب منفعة ذاتية ، بل لوجه الحقيقة واعلاء جوهر الحق ، والتبشير بما يتكوم في أعماقه النفسية من انفعالات توحيدية تنهد الى تجريد المبدع الحق وتوحيده .

ومن الواضح أنه كان هناك جمهرة من الفلاسفة

وفدوا على هذا العالم قبل المعلم الاول سقراط ، وكانوا رجال حكماء أقوياء كطاليس وهرقليط ، ومنيديس وزينون ، وفلاسفة عظماء كفيثاغور وأمبدوكليس ، لكنهم كانوا في معظمهم علماء فيزيائيين ، عالجوا الأمور الطبيعية والأشياء الخارجية ، وبحثوا حول قوانين الوجود المادي القابل للقياس ، وعن جواهره ، وعلق سقراط بالذات على انتاجهم العرفاني فقال : هذا الامر جيد جدا ، ولكن هناك ، بالنسبة للحكماء والفلاسفة العقلاء موضوعا أهم ، أهمية غير متناهية ، من جميع هذه الأشجار والحجارة وحتى جميع تلك الكواكب والنجوم والأفلاك ، هناك العقل البشري ، وماهية الانسان ، وما الذي يمكن أن يعود اليه بعد أن يخلع قميصه الذي ذاب في عالم الكون والفساد .

لذلك لا بد لنا ونحن حكماء هذا الكون وفلاسفته من دراسة ماهية النفس الانسانية ، ورفع الأقنعة عن الفرضيات والوصول الى اليقينيات ، فاذا تبين لنا أن أبناء البشرية يتحدثون عن العدالة ، لا بد لنا أن نسألهم بهدوء وتأمل ، ما هي العدالة التي تبحثون عنها ؟ وما الذي تهدفونه بهذه الألفاظ التجريدية العقلية التي بها تتمسكون ، على هذه

الصورة ، بيسر وسهولة ، في قضايا الحياة والموت ؟ وما الذي تقصدون اليه بكلمات ، شرف ، وأخلاقية وفضيلة وحب الوطن ؟ وما الذي تعنونه بعبارة الذات ؟

ويرى ويل ديورانت (١) أن سقراط بمثل هذه الاستفسارات الأخلاقية والسيكولوجية كان يرغب في التعامل ، أما أولئك الذين تمسكوا بهذا الرأي السقراطي ولاقوا ما لاقوه في سبيل تقديم تعاريف دقيقة صحيحة وتفكير نقي صاف ، فانهم قد اعترضوا قائلين بأنه يطرح من الاستفسارات أكثر مما يقدم من الأجوبة ، وأنه يترك أذهان الناس أشد ارتباكا وحيرة مما كانت عليهما من قبل • وبالرغم من ذلك فان سقراط ترك للفلسفة جوابين محددين تحديدا دقيقا عن سؤالين من أصعب الأسئلة والقضايا ، انهما الجواب عما هو معنى الفضيلة ؟ وعما تكونه أفضل دولة ؟ وليس هناك من موضوع يمكن أن يكون أشد أهمية من هذين بالنسبة لشبيبة أثينا من أبناء ذلك الجيل • فالسفسطائيون الذين دمروا الايمان ، الذي عمر في وقت من الاوقات

(١) ويل ديورانت : قصة الفلسفة : ص ٦٠ •

قلوب هذه النخبة من الشباب ، بآلهة الأولمب ، وبالشريعة الاخلاقية المعتمدة ، الى حد كبير مثل ما كان في الأيام الماضية ، في قبولها وتصديقها ، ومحاولة التغلب على الخوف الذي سيطر على الشعب بكامله ، من القوة الموهومة للأرباب المتعددة والموزعة في كل مكان ، ومن الواضح انه لم يكن هناك من سبب يستوجب ألا يفعل المرء كما يشاء ويرغب ، طالما أنه لا يتجاوز القانون في فعله • مما أدى الى اضعاف الفردية المفككة الخلق في المجتمع الأثيني ، مما سهل وقوع أثينة لقمة سائغة في فم الاسبراطيين أبناء التربية القاسية الصارمة •

أما ما يتعلق بالدولة ، فأي أمر يمكن أن يكون أشد سخرية وهزلا من ديمقراطية تقودها الغوغاء وتركبها العاطفة ، ومن حكومة منبثقة عن مجتمع جدل ونقاش ، ومن تفضيل عجول متسرع وعزل القواد العسكريين واعدامهم ، ومن هذا الاختيار اللاانتحاري بترتيب أبجدي دوري لفلاحين وتجار سذج ، أعضاء في المحكمة العليا في البلاد ؟ وكيف يكون بالمقدور تطوير أخلاقية جديدة وطبيعية في أثينا ، وكيف يمكن انقاذ الدولة ؟

ان الجواب على هذه الأسئلة هو الذي دفع

بسقراط الى براثن الموت وأحضان الخلود (١) ٠ فالمواطنون الأقدم سنا كانوا سيكرمونه لو أنه حاول استعادة الايمان القديم بالآلهة المتعددة ، ولو أنه قاد عصبته من النفوس المحررة الى الهياكل والأيك المقدسة وطلب اليهم تقديم القرابين ثانية الى آلهة آبائهم ، غير أن سقراط أحس بأن هذا العمل سيكون بمثابة سياسة انتحارية لا أمل بها أو رجاء ، وأنه بمثابة تقدم الى الوراء ، أي الى التخلف ، والوصول الى أجواف القبور وليس مرورا فوقها ٠

لقد كان لسقراط ايمانه الديني الخاص ، فلقد آمن باله واحد ، وأمل ، وبأسلوب متواضع ، بأن الموت لن يدمره تماما ، ولكنه عرف بأن شريعة أخلاقية متينة دائمة لا يمكن تركيزها على لاهوت مشكوك في أمره الى ذاك الحد ٠ فاذا كان بمقدور المرء أن يبني نظاما لأخلاقية مستقلة استقلالا مطلقا عن العقيدة الدينية ، وصحيحة بالنسبة للملحد صحتها بالنسبة للورع ، فعندئذ يجوز للاواهيت أن تأتي وتذهب دون أن تفقد الاسمنت الاخلاقي

---

(١) ويل ديورانت : قصة الفلسفة ص ٦١ ٠

الذي يجعل الأفراد ذوي الارادة القوية المواطنين المسالمين في المجتمع ·

فاذا كان الخير ، مثلا يعني ذكاء ، وكانت الفضيلة تعني حكمة ، واذا كان بمقدورهم تعليم الناس وارشادهم الى أن يروا مصالحهم الحقيقية بوضوح ، وأن ينظروا بعيدا نتائج أفعالهم البعيدة ، وأن يصنفوا رغباتهم ويطهروها عن فوضى مستقرة للذات ، الى تناغم مبدع ـ فهذا لربما يؤمن للانسان المثقف السفسطائي الاخلاقية التي تعتمد في الجاهل ، على السنن الادبية المكررة المرددة وعلى الرقابة الخارجية · ولربما تكون كل خطيئة خطأ أو ضلالا ، والرؤيا المتعيزة ليست سوى حماقة ؟ فقد تكون للانسان الذكي النوازع العنيفة ذاتها ، التي تكون للجاهل ، ولكنه تأكيدا يستطيع السيطرة عليها بشكل أفضل من ذاك ، وانزلاقه الى تقليد الوحش أقل تكرارا منه · وان في مجتمع يساس بذكاء ـ مجتمع يعيد الى الفرد ، في سلطات أوسع ، أكثر مما أخذ منه ، في حرية مقيدة ـ ستكمن فائدة كل انسان في السلوك الاجتماعي المخلص والثابت على العهد ، ولن تكون هناك من حاجة الى أي شيء سوى النظرة الثاقبة

لتامين السلام والنظام والنية الطيبة ٠

ولكن اذا كانت الحكومة فوضى ومرفوضة عقلا ، واذا كان تحكم دون أن تساعد ، وتأمر دون أن تقود ـ فكيف يكون بمقدورنا اقناع الفرد ، في دولة كهذه ، باطاعة القوانين وبحصر التماس نفعه داخل دائرة الخير العام ؟

ومن المؤكد أن ادارة الدولة هي أمر لا يستطيع الناس أن يكونوا ، بالنسبة له ، بالغي الذكاء جدا ، انها أمر يحتاج لفكر أرهف الاذهان وأشدها مضاء ، فكر لا تعترض سبيله عقبة أو حاجز ٠ فكيف يمكن انقاذ المجتمع ، أو كيف يمكن للمجتمع أن يكون قوي الجانب ، اذا لم يقده أعظم رجاله حكمة ؟

واذا حاولنا أن نلمس بعين الخيال ردة فعل الحزب الشعبي في أثينا ، على هذا الانجيل الارستقراطي ، وفي زمن بدت الحرب على أنها تستوجب اسكات كل نقد ، وفي وقت كانت الأقلية الغنية والمثقفة تتآمر لاضرام الثورة ٠ ولنتأمل في أحاسيس آنيتوس ، الزعيم الديمقراطي ، الذي أصبح ابنه تلميذا لسقراط ، حيث انقلب على ألهة أبيه ، وضحك في وجهه ساخرا ٠ ألم يتوقع

ارستوفان بنتيجة كهذه ، من الاستبدال الفار والحسن مظهرا للفضائل القديمة بالذكاء الفظ وغير الأنيس ·

ومن ثم اندلعت نيران الثورة ، وحارب الناس في صفوفها وضدها ، حربا مريرة حتى الموت · وعندما انتصرت الديمقراطية تقرر مصير سقراط وبت في أمره ، اذ أنه كان القائد العقلاني للحزب الثائر ، مهما ظهر بالذات على أنه محب للأمن والسلام ، فسقراط منبع الفلسفة الارستقراطية المكروهة المقيتة ، وسقراط كان مفسدا للشبيبة المخمورة بالجدل والنقاش · وهكذا قال آنيتوس ميليتوس : « من الأفضل أن يموت سقراط (١) » ·

ويستدل مما كتب عن سقراط أنه اتهم بالالحاد، وحكم عليه بالاعدام ، فتناول السم وهو رابط الجأش ، وبعد وفاته راحت الروايات تتوالى حول حياته وأفعاله وسلوكه ، وماهية الفلسفة العقلانية التي نادى بها ، مع أنه لم يفكر مطلقا في تدوين أفكاره وفلسفته العرفانية ، وأشهر الروايات عنه أوردها ثلاثة من طلابه الذين عاصروه وعبوا من

---

(١) ويل ديورانت : قصة الفلسفة ص ٦٣ ·

ينابيعه الفكرية الناهدة الى اصلاح الدولة والمجتمع والدين الذي ورثه أهل أثينا عن أجدادهم الأول • وهؤلاء الطلاب الثلاثة الذين عاصروا سقراط وشربوا من رحيق علومه العقلانية هم : أرسطوفان، وأفلاطون ، واكسانوفون • كان أرسطوفان شاعرا هزليا يعرض على المسرح ألوانا من أخلاق الناس بقالب مسرحي هزلي ، خصص لمعلمه سقراط احدى مسرحياته وصوره فيها كواحد من السوفسطائيين لا أكثر ، وأفلاطون تلميذه الثاني كان فيلسوفا فنانا ، خصص كتبه كمحاورات استتر فيها خلف صورة سقراط ينطقه بأفكاره ويضيف اليه ما يريد حتى يجعل منه صورة حية تجسد المثل العليا الكاملة • أما اكسانوفون فكان آديبا متفلسفا، جمع مذكرات لسقراط لا نعرف لها سندا حقيقيا ينير الطريق أمامنا لتكوين معلومات صالحة لالقاء النور على حياة هذا الحكيم الكبير ، وأبرز فيها البساطة التي اشتهر بها حتى هبط بها الى حد الاسفاف ، فأخرج لنا صورة تافهة لا تفسر ما كان لسقراط من خطر • وان هذا الخطر ليرجع رواية أفلاطون ، على أن نعتمد على المبالغة البريئة ، وأن نعول على مؤلفاته الأولى القريبة العهد بسقراط ،

يضاف الى كل هــذا بعض الاشــارات الأرسطوي الصريحة التي تصور لنا مذهب سقراط وفلسفته العرفانية ·

مما لا جدال فيه أن سقراط قد أظهر رغبة في سن مبكرة الى العب من ينابيع الحكمة ، تحت تأثير الفيثاغورية والأورفية بأثينا ، فراح يمد عقلــه ويهذب نفسه ، وقد عرف الحكمة على أنها كمال العلم لكمال العمل · فمن الناحية العقلية ، أفاد من مناهج السوفسطائيين حتى كون لنفسه منهجا ، ولم يأخذ بشكوكهم · ونظر في الطبيعيات والرياضيات ، ولم يتعمق بها لبعدها عن العمل ، فضلا عن تناقض الطبيعيين فيما بينهم واقتنع بأن العلم انما هــو العلم بالنفس لأجل تقويمها ، ونقلها من حد القيام بالقوة الى حد القيام بالفعل عن طريــق الافــادة العقلية والعلوم العرفانية · واتخذ شعارا له كلمة قرأها في معبد دلف « اعرف نفسك بنفسك » · ومن الناحية الخلقية ، كان يغالب مزاجه الحاد ، ويقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل ·

ولما وفق في تركيز دعائم أفكاره التي كانت تتفاعل في أعماقه ، طلع على الأثينيين يساهم معهم

بالأمور الفلسفية التي كان يثيرها السوفسطائيون من الناحية الادبية والخلقية والاجتماعية ، والأثينيون يقبلون عليه رغم دمامة خلقته وتكوين وجهه ، معجبين بحديثه السلس البليغ ، وأسلوبه السهل البسيط ، وتفننه بالمناقشة والجدل • ولم يكن لسقراط مدرسة فلسفية معينة بل كان يجتمع بالناس أينما اتفق ، فيخطب ويناقش ويجادل أو يشرح بعض الانتاج الشعري • ومع كل هذا فقد كانت له حلقة خاصة يلتف فيها حوله الطلاب والمستفيدين ، منهم الأثيني ، ومنهم الغريب الذي يتردد على أثينا من حين الى حين ليراه ويستمع اليه، ومنهم تلامذة حديثي العهد بالأمور العرفانية ، ومنهم المعروف بانتمائه لمدرسة أخرى •

وكان سقراط يفضل التحدث الى الشباب يحاول اصلاح ما أفسده السوفسطائيون من أمرهم ، ويدلهم على مسالك الحق والخير والجمال ، ليجهز للوطن مستقبلا مشرقا على أيديهم • وحدث أن سأل أحد تلامذته كاهنة دلف الناطقة بوحي أبولون ان كانت هناك رجل أحكم من سقراط ، فكان الجواب بالسلب ، فعجب له سقراط ولم يكن يرى في نفسه شيئا من الحكمة •

وشاء سقراط أن يعرف غرض الاله ، فراح يمتحن الشعراء والخطباء والفنانين والسياسيين ، ليتأكد ان كان بالفعل يفوقهم حكمة ومعرفة ، ويكشف عن فحوى حكمته • كان يسألهم في حلقات واسعة تضم أشتات الناس فيما عرفوه من علوم ، فلا يلبث أن يتبين له أنهم لا يعلمون شيئا ، وأنهم انما يصدرون عن مجرد التخمين ، أو عن الهام الهي ، وكلاهما مخالف للعلم •

وخرج من هذا الاختبار بأن مراد الاله هو أن حكمته قائمة في علمه بجهله ، بينما غيره جاهل يدعي العلم ، فمضى في مهمته يقدم الحكمة بلا ثمن • وهو يعتقد أنه يحمل في عنقه أمانة سماوية، وان الله أقامه مؤدبا عموميا مجانيا يقبل بالفقر ويرغب عن متاع الدنيا ليؤدي رسالته الحقة • وكان الى جانب هذا وطنيا صادقا وجنديا شجاعا اشترك في حربين ، دامت الأولى من سنة ٣٤٢ الى سنة ٤٢٩ ، ووقعت الثانية سنة ٤٢٢ ، وتوسطتهما موقعة سنة ٤٢٤ ، فدل في كل مناسبة على رباطة جاش وبسالة وصبر على مكاره الجندية ، ونجى من الموت القبيادس في احدى المعارك ، و (١) كسانوفون

(١) افلاطون : احتجاج سقراط على اهل اثينا : ص ٧٣ •

في أخرى ، أصابته القرعة فدخل مجلس الشيوخ ، فعرف بالنزاهة واستقلال الرأي بين الديموقراطيين ، والارستقراطيين ، وكانت له مواقف مشهودة جهر فيها بالحق والعدل مستهدفا للخطر صامدا للهياج ، وما أن انقضت مدة انتخابه حتى عاد الى سابق عهده من البحث والارشاد الى أن بلغ السبعين من عمره ·

سقراط وأفكاره العقلانية :

كل الذي نعرفه من خلال المحاورات الأفلاطونية التي كتبها أفلاطون تلميذ سقراط وصاحبه أن سقراط قد أوجد أسلوبا جديدا في حكمه وفلسفته العرفانية ، وفي ضوء ما لدينا من معلومات نستطيع أن نقول بأن سقراط قد عمد الى التهكم والابداع : ففي مرحلة التهكم كان يتصنع الغباء ، ويتظاهر بالاقرار بما يسمعه من آراء مجادليه ، ثم يعمد الى طرح الأسئلة ويبين موضع شكوكه ، كما يفعل كل مستفيد يحاول استدراج مفيده ليزوده بالمزيد من المعارف ، بحيث ينتقل فجأة من أقوالهم الى أقوال لازمة منها ولكنهم لا يسلمونها فيوقعهم في التناقض ويجبرهم على الاعتراف بالجهل والغباء · فالتهكم

السقراطي هو السؤال مع تصنع الجهل أو تجاهل العالم (١) ، وهدفه من وراء ذلك تخليص العقول من العلم السوفسطائي الذي كان معروفا في زمانه ، واعداد الناس لقبول الحقائق التي يبسطها فيما بعد سقراط بأسلوب الحكيم العارف للأسرار والخفايا الكامنة وراء الافكار المطروحة للجدل والنقاش •

وبعد أن يحقق سقراط أهدافه التي يصبو اليها سرعان ما يلتفت بزهو وخيلاء فيطرح الأسئلة ويقدم الاعتراضات وهي منسقة ومرتبة بصورة منطقية تخلب للألباب ، وتهز (٢) مشاعر وأحاسيس سامعيه ، وعندها تظهر الحقيقة بوضوح وجلاء ، ويحسب محاوره أنه اكتشفها بذاته • ولهذا نلاحظ أن سقراط كان يقول في هذا المعنى أنه يحترف صناعة أمه ـ وكانت قابلة ـ الا أنه يولد نفوس الرجال ، ويخلق ذواتهم •

وليست فلسفة سقراط سوى أنه كان يرى أن لكل شيء طبيعة أو ماهية هي حقيقته يستطيع العقل أن يسبر أغوارها ويكشفها ، ووراء الاعراض

---

(١) افلاطون : احتجاج سقراط على اهل اثينا ص ١٢ •

(٢) افلاطون : جمهورية م ١ ص ٣٣٧ •

المحسوسة ، ويعبر عنها بالحد ، وأن غاية العلم ادراك الماهيات ، أي تكوين معان تامة الحد ·

ومن الواضح أن سقراط كان يعتمد في حكمته على الاستعانة بالاستقراء ، ثم يتدرج من الجزئيات الى الماهية المشتركة بينها ، ويرد كل نقاش الى الحد والماهية فيسأل : ما الخير وما الشر ، وما العدل وما الظلم ، ما الحكمة وما الجنون ، ما الشجاعة وما الجبن ، وما التقوى وما الالحاد ، وهكذا · فكان يجتهد في حد الألفاظ والمعاني حدا جامعا مانعا ، ويضيف الاشياء في أجناس وأنواع ، ليمتنع المزج بينهما ، في حين كان السوفسطائيون يستفيدون من اشتراك الألفاظ وابهام المعاني ، ويتهربون من الحد الذي يكشف المغالطة · فهو أول من طلب الحد الكلي طلبا مطردا وتوسل اليه بالاستقراء،وانما يقوم العلم على هاتين الدعامتين: يكتسب الحد بالاستقراء ، ويركب القياس بالحد ، فالفضل راجع اليه في هذين الامرين ·

ولقد كان لاكتشافه الحد والماهية أكبر الأثر في مستقبل الفلسفة ومصيرها · فقد ميز (١) بصفة

---

(١) افلاطون : « تيتياتوس » ص ١٤٩ ـ ١٥٢ ·

نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس ، وغير روح العلم تغييرا جذريا ، لأنه ، اذا جعل الحد شرطا له ، قضى عليه أن يكون مجموعة ماهيات ، ونقله من مقولة الكمية حيث استبقاه الطبيعيون والفيثاغوريون الى مقولة الكيفية • فهو موجد نسفة الماهيات ، المتجلية عند أفلاطون وأرسطو ، والتي ترى في الوجود مجموعة أشياء عقلية ومعقولة •

وفضل سقراط بعد أن ابتعد كلية عن الطبيعيات والرياضيات ، الغوص في أعماق الانسان (١) وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق باعتبارها أهم ما يلفت نظر الانسان ، وهذا معنى قول شيشرون أن سقراط أنزل الحكمة من السماء الى الارض ، أي أنه حول النظر من الفلك والعناصر الى النفس الانسانية • وتدور الاخلاق على ماهية الانسان ، حيث نرى سقراط يقول : الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره ، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ، ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في

(١) ارسطو : ما بعد الطبيعة ص ٩٨٧ •

قلوب البشر ، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهي ، وقد يحتال البعض في مخالفتها ، بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ، ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة • والانسان يريد الخير دائمًا ، ويهرب من الشر بالضرورة ، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان أراده حتما • أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل انه يرتكب الشر عمدا • وعلى ذلك فالفضيلة علم ، والرذيلة جهل •

وهذه الأفكار السقراطية الفاضلة الخيرة تدل على مبلغ ايمان سقراط بالعقل وحبه للخير والفضيلة ، وابتعاده عن الشر والرذيلة ، ومن الواضح أن الافكار التي أطلقها أفلاطون في محاورته « أوطيغرون » تجسد أفكار سقراط في الدين الذي يرفض أن يصدق ما يروى عن شهوات الآلهة وخصوماتهم ، فلو كان ذلك صحيحا لانهار الدين من أساسه ، ولم نعد نعلم أي الاعمال يروق في أعين الآلهة ، وأيها لا يروق ، ولا ان كان العمل الحسن عند أحدهم لا يعد مرذولا عند غيره •

ويرى سقراط من جانبه أن الدين ليس سوى

تكريم الضمير النقي للعدالة الالهية ، لا تقديم القرابين وتلاوة الصلوات مع تلطيخ النفس بالرذيلة . كذلك كان سقراط يعتقد ان الآلهة يرعوننا ، وأنهم عينو لكل منا مهمة في هذه الدنيا ، وكان يؤمن بالخلود ، ويعتقد أن النفس متمايزة من البدن فلا تفسد بفساده ، بل تخلص بالموت من سجنها ، وتعود الى صفاء طبيعتها .

وأغلب أفكار سقراط ان لم نقل كلها تتحدث عن ضرورة تهذيب النفس الانسانية باعتبارها قائمة بالقوة ناقصة بالفعل ليصار الى تعليمها وافادتها بالامدادات العرفانية والعقلانية ليصار الى نقلها من حد القوة الى حد الفعل حيث تتوفر لها السعادة والمثألية والكمال المطلق في أفعالها وسلوكها ومداركها للأمور التوحيدية والتجريدية والتنزيهية ، على دعائم قوية صلدة من الأسس الاخلاقية ، والمناقب الانسانية الفاعلة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية .

أوطيغرون وسقراط :

ذكرنا أن المحاورات الافلاطونية العقلانية التي

كتبها أفلاطون تجسد بدقة وروية فلسفـــة سقراط الماورائية التي شعت من ذاته فتركزت في أعمـــاق طلابه ومريديه ، ومحاورة أوطيفرون تحكي قصة سقراط قبل مثوله أمام المحكمةالتي قضت باعدامه، بتهمة الفجور التي لفقها ضده جماعة من الأثينيين. وشاء تلميذ سقراط المقرب المخلص أن يظهر للملأ مدى جهلهم بحقيقة التهم التي ألصقوها بمعلمـــه الأول ، فاتخذ رواية رمزية قد تكون حدثت بالفعل في أسرة أوطيفرون مجالا لمحاورته ، وبطل الواقعة رجل من أهل أثينا ، شمخ بعقله النير ، وعلومــه السامية ، وايمانه الديني ، ألا وهو «أوطيفرون» .

ويظهر أفلاطون « أوطيفرون » وقد صـــادف سقراط في بهو كبير القضاة ، حيث كان لكل منهما عند نفس القاضي مشكلة قصد انجازها ،فسقراط جاء من أجل القضية التي اتهم فيها بالالحاد والتي رفعها عليه « مليتس » وأما « أوطيفرون » فقد جاء ليرفع قضية حول تهمـــة قتل أقامهـــا على أبيه ، وتفصيل هذه المشكلة أن رجلا فقيرا من أتباع أسرة أوطيفرون قتل عبدا من عبيدها في « ناكسوس » فأمر أبو « أوطيفرون » بالقاتل فشد وثاقه ووضع في خندق ريثما يستفتي علماء الدين في أثينا عما

يجب أن ينزل بهذا المجرم من عقاب ، ولكن المنية لم تمهل القاتل حتي يعود الرسول من أثينا يحمل الفتوى ، فمات بسبب الجوع والبرد ، فلم يتردد « أوطيفرون » في أن يرفع على أبيه قضية يتهمه فيها بأنه تسبب في قتل العبد ·

وعندما علم سقراط بفحوى هذه القضيــة ، واقدام الرجل على رفع قضية على والده ، اتضح له أن « أوطيفرون » لا بد عالم أدق العلم بماهية الخير والشر والتقوى والفجور ، والا لما أقدم على هذا الاتهام الخطير بحق والده والمسبب لوجوده في عالم الكون والفساد ، وما دام سقراط نفسه قــد أصبح قاب قوسين أو أدنى مــن المحاكمة متهمــا بالفجور ، فخير ما يفعله أن يتلقى عن «أوطيفرون» العلم بحقيقة التقوى والفجور ، لعله يفيد به شيئا أثناء محاكمته ، ويكفيه أن يحتج للقضاة برأي هذا الرجل ، ولن يسع القضاة الا التسليم والقبول ·· فما التقوى اذن ؟

هذا هو السؤال الذي أطلقه سقراط ، فأجابه أوطيفرون ان التقوى هي أن يصنع كما صنع هو ، أعني أن يتهم أباه ــ ان كان مخطئا ــ بجريمــة

القتل ، وهو ان فعل ذلك فانما يقتفي أثر الآلهة أنفسهم ، فذلك ما صنعه « زيوس » لـ «كرونوس» وما صنعه « كرونوس » لـ « أورانوس » .

وما كاد سقراط يفهم هذه الرواية عن الآلهة حتى أظهر كرهه لهذه الخرافات والأساطير ، وأخذ يستوثق من أوطيفرون صدقها ، فيجيب هذا بأنها حق صريح ، ويبدي استعداده أن يروي على مسامع سقراط مزيدا منها ، ولكن سقراط يرده برفق ويعود به الى سؤاله الأول عن التقوى ، ما هي ؟ فأما أن يجيبه بأنها فعل ما فعله هو من اتهام المرء لأبيه ان كان أبوه ذا خطيئة ، فانه بذلك لا يزيد على أن يقدم مثلا من أمثلة التقوى ، اذ لا يمكن أن يكون هذا القول تعريفا جامعا لها .

ويرد أوطيفرون بأن التقوى هي ما هو عزيز لدى الآلهة ، والفجور ما ليس بعزيز لديهم ، ولكن سقراط لا يطمئن الى هذا الجواب ، أفلا يجوز أن يختلف الآلهة في الرأي كما يختلف الناس سواء بسواء ؟ ان ذلك جائز ولا ريب ، وبخاصة فيما يتعلق بالخير والشر ، اذ لا يقوم الخير والشر على قاعدة ثابتة . ولعل هذا الضرب من أوجه الاختلاف

هو الذي يثير الخصومة والقتال ، واذن فالفعل الذي يكون عزيزا لدى اله قد لا يكون عزيزا لدى غيره من الآلهة ، فيكون الفعل الواحد على هذا الحساب تقيا وفاجرا في وقت واحد ، خذ مثلا لذلك اتهام أوطيفرون لأبيه ، فقد يصادف هذا الفعل رضى في نفس « زيوس » لأن زيوس أقدم على نفس الفعل نحو أبيه ، ولكنه قد يغضب «كرونوس» أو « أورانوس » لأنهما لقيا من ولديهما مثل هذا العقوق .

ويجيب أوطيفرون أن الآلهة والناس أجمعين لا يختلفون في وجوب الاقتصاص من القاتل ، فيوافق سقراط على ذلك ، ولكنه يشترط لهذا الاجماع على انزال العقوبة بالقاتل أن يثبت أنه قاتل حقا ، وألا يقوم الاتهام على مجرد الظن ، فهل اذا نظرنا الى قضية أوطيفرون على أبيه وتقصينا بالنظر كل ما يحيط بها من ظروف ، نستطيع أن نقيم الدليل على أن الوالد قد اقترف جريمة القتل ، حتى نقطع بأن الآلهة مجمعة على عقابه راضية عن فعله أوطيفرون ؟ ويستطرد سقراط فيقترح تعديلا في تعريف التقوى والفجور بحيث تكون صيغته : ان ما تجمع الآلهة على حبه فهو تقي ، وما تجمع على

كراهيته فهو فاجر • فيوافقه أوطيفرون على هذا التعديل •

فيأخذ سقراط وقتها في تحليل الصيغة الجديدة، فيرى ان في بعض الحالات يسبق الفعل الحالة ، أعني مثلا أن الفعل الذي يتم لك به أن تكون محمولا أو محبوبا يسبق حالة كونك محمولا أو محبوبا ، وبناء على ذلك يكون العزيز لدى الآلهة عزيزا لأنهم أحبوه أولا ، والعكس غير صحيح ، أي أنهم لم يحبوه لأنه عزيز لديهم ، أما الفعل التقي فيحبه الآلهة بسبب تقواه ، وهذا مساو لقولك انهم يحبونه لأنه عزيز لديهم ، وهنا يبدو لنا شيء من التناقض غير واضح ، اذ تبين لنا منذ برهة قصيرة أن الفعل يسبق الحالة،فيكون الشيء محبوبا أولا وعزيزا ثانيا ، ولكن هذا التعريف الجديد معناه كما رأينا أن الشيء يكون عزيزا لدى الآلهة أولا ومحبوبا من أجل ذلك ••• وهنا يحس أوطيفرون أنه قد تورط فيما لا قبل له به ويعترف لسقراط أن ما قدمه من أقوال وشروح مضطرب لا يثبت ولا يستقر ، بل انه ليحس أن سبيل البرهان قد التوى عليه ، وأن براهينه تفلت من يده وتدور في دائرة كما تفعل أشباح « ديدالس »

التي تروى عنهـا الأساطير ، ولا عجب أن يثير سقراط في أقوال محاوره هذا الاضطـراب وهذا الدوران ، اذ هو خلف تحدر من سلالة «ديدالس» فيظهر أنه قد ورث عن جده الاكبر هذا الفن ، ولكن سقراط لا يأبه لهذا الضجر من صاحبه ويلقي السؤال في صورة أخرى فيقول : هل كل تقي عادل ؟ فيجيب أوطيفرون أن نعم ، فيتبع ذلك بسؤال ثان: وهل كل عادل تقي ؟ فيجيب محاوره بالنفي ،فيلقي سقراط سؤالا ثالثا : اذن فأي أجزاء العدل تكون التقوى ؟ فيجيب أوطيفرون بأن التقوى هي جانب العدل الذي نخدم به الآلهة ، كما أن للعدل جانبا آخر نخدم به الناس ، ولكن مـاذا نريد بخدمـة الآلهة ؟ اننا اذا أطلقنا لفظة الخدمة فيما نقدمه من العناية الى الكلاب والجياد والناس ، انما نريد أننا ننفع هؤلاء بما نؤديه لهم من خدمات ، فاذا كانت أفعال التقوى عبارة عن خدمة للآلهة ، فهل نريد بذلك أننا ننفع الآلهة بخدمتنا اياهم ؟

فيوضح أوطيفرون ما أشكل من الامـر على سقراط بأنه يريد بشعائر التقوى تلـك الافعـال التي نؤديها في عبادتنا للآلهة ، فيستأنف سقراط اعتراضه بأن « الخدمات » التي يؤديهـا الزارع

والطبيب والبناء لها غرض ترمي اليه ، فأي غرض نقصد بخدمتنا للآلهة ، وماذا تجدي عليهم خدماتنا ؟ فيعتذر أوطيفرون بأن الوقت قصير ، ولا يستطيع أن يجيب على مثل هذه الأسئلة بغير تدبر وتفكير ، ولكنه على كل حال يمكنه أن يقول في يقين ان التقوى هي أن نعلم كيف نرضي الآلهة بالقول والعمل ، أعني بالصلاة وتقديم القرابين ، فيفسر له سقراط هذا القول بأن التقوى اذن هي « علم الأخذ والعطاء » ، فتطلب من الآلهة ما نريده ، ونرد اليهم في مقابلة ما يريدون ، أعني أنها بعبارة موجزة لون من التبادل التجاري بين الآلهة والناس ، ولكنه تبادل مجحف بالآلهة لأنهم يعطوننا كل خير ، أما نحن فماذا نقدمه لهم من الخير في مقابل عطائهم ؟ فيعترض عليه أوطيفرون بأننا اذا لم نعط الآلهة خيرا ، فحسبنا أننا نتخلق ازاءهم بأخلاق الشرف ، فيقول سقراط جوابا على ذلك : اذن فنحن لا نعطيهم شيئا ينفعهم ، ولكننا نفعل ما يسرهم ، وما يكون عزيزا لديهم ، وذلك ما أقمنا البرهان على فساده فيما سبق .

ولا يبرح سقراط ملحا في سؤاله رغم ما يحاوله محاوره من المراوغة والهروب ، لأنه لا يشك في أن

أوطيفرون لا بد عالم بحقيقة التقوى ، والا لما حدثته نفسه قط أن يتهم أباه وهو الشيخ المسن ، فهو اذن يرجو أوطيفرون ويلح في رجائه ألا يبخل عليه بعلمه الغزير وأن يتفضل بتعليمه حقيقة التقوى ، فيعتذر أوطيفرون أن وقته قصير لا يسمح له باطالة الوقوف ، فيخيب أمل سقراط في أن يعرف من هذا العالم شيئا قد ينفعه فيما هو مقبل عليه من المحاكمة .

محاورة أوطيفرون :

أشخاص الحوار : سقراط ـ أوطيفرون .

المنظر : دهليز كبير القضاة .

أوطيفرون : فيم تركك اللوقيون يا سقراط ؟ وماذا تصنع في دهليز كبير القضاة ؟ يقينا انك لم تأتي مثلي في شأن قضية أمام القاضي .

سقراط : لست بصدد قضية يا أوطيفرون ! انما هو اتهام كما يسميه الأثينيون .

أوطيفرون : ماذا ؟ أحسب أن أحدا قد رماك

باتهام ، لأنني لا أصدق أن تقف أنت من غيرك موقف المتهم ٠

سقراط : كلا ولا ريب ٠

أوطيفرون : اذن فقد آخذك امرؤ باتهام ؟

سقراط : نعم ٠

أوطيفرون : ومن هو ذا ؟

سقراط : شاب نكرة يا أوطيفرون ، لا أكاد أعرفه ، اسمه مليتس وهو من أهل مدينة بتثيس ، ولعلك ذاكر صورته : فله منقار ، وشعر طويل مستخيم ، ولحية شعثاء ٠

أوطيفرون : كلا ، لست أذكره يا سقراط ٠ ولكن بأية تهمة رماك ؟

سقراط : بأية تهمة ؟ انه اتهام خطير يدل على أنه ذو خلق عظيم ، ولا ينبغي بلا ريب أن يزدرى من أجله ٠ فهو يقول انه يعلم كيف يفسد الشباب ، ومن هم المفسدون ٠

ويخيل الي أنه لا بد أن يكون رجلا حكيما

فلما رآني نقيض الرجل الحكيم أشار عني ، وهو معتزم أن يتهمني بافساد أصدقائه من الشبان • وستكون الدولة وهي أمنا ــ حكما في هذا • انه الوحيد بين ساستنا الذي أراه قد بدأ بدءا صحيحا في غرس الفضيلة في الشباب • فهو كالزارع القدير، يعنى بالنبات الصغير أول ما يعنى ، فيباعد بيننا وبينه ، لأننا متلفوه ، وما تلك الا خطوة أولى اذا ما أتمها توجه بعنايته الى الغصون المكتهلة ، ولو استمر كما بدأ لأصبح للشعب مصلحا جد عظيم •

أوطيفرون : أرجو له أن يستطيع ، ولكني كم أخشى يا سقراط أن يكون العكس هو الصحيح ، فرأيي أنه بمهاجمته اياك انما يصوب ضربة الى الدولة في أساسها • ولكن كيف تفسد الشباب في زعمه ؟

سقراط : انه يوجه الي اتهاما عجيبا يثير الدهشة فور سماعه ، فهو يقول اني شاعر أو مبتدع للآلهة ، فأختلق آلهة جديدة وأنكر وجود الآلهة القديمة ، هذا هو أساس دعواه •

أوطيفرون : أفهم ما تقول يا سقراط ، فهو

يريد أن يتهمك بالعلامة المعهودة التي تأتيك من حين الى حين كما تقول • وسيقدمك الى المحكمة لأنه يظن أنك ذو بدعة في الدين ، ولعله يعلم ما أعلمه علم اليقين من أن مثل هذه التهمة سهلة القبول لدى الناس ، فأنا حين أتحدث في الجماعة عن أشياء مقدسة وأتنبأ لهم بالمستقبل يهزأون مني ويظنون أني مجنون ، ومع ذلك فكل كلمة مما أقول حق ، ولكنهم يغارون منا جميعا ، فيجب علينا أن نستبسل ونهاجمهم •

سقراط : ليس ضحكهم يا عزيزي أوطيفرون بذي خطر ، فقد يقال عن رجل انه حكيم ، ولكن الأثينيين فيما أحسب لا يكلفون أنفسهم عناء بشأنه الا اذا أخذ يبث في الناس حكمته ، عندئذ يأخذهم الغضب لسبب ما ، وقد يكون لغيرة فيهم ، كما تقول أنت •

أوطيفرون : لا ينتظر أن أختبر خلقهم على هذا النحو •

سقراط : أظن أنك لن تفعل ، لأنك متحفظ في سلوكك ، ويندر أن تبث حكمتك • أما أنا فقد

تعودت محسنا أن أفرغ ما بنفسي لكل انسان • بل اني لأود أن أؤجر المستمع ، واني لأخشى أن يظن الاثينيون أني كثير الثرثرة ، فلو حدث ، كما سبق لي القول ، أن اكتفوا بسخريتهم مني ، كما زعمت أنهم فعلوا معك ، اذن لأنفقنا الوقت في المحكمة في مرح شديد • ولكن قد يأخذهم الجد ، وعندئـذ لا يستطيـع أن ينبىء بالخاتمـة الا أنتـم معشر المنجمين •

أوطيفرون : أظن يا سقراط أن الامر سينتهي بلا شيء ، وأنك رابح قضيتك كما أظنني كاسبا لقضيتي •

سقراط : وما قضيتك يا أوطيفرون ، ألأنت المتهِم أم المتهَم ؟

أوطيفرون : أنا المتهِم •

سقراط : ومن تتهم ؟

أوطيفرون : ستظنني مجنونا حين أخبرك •

سقراط : لماذا ؟ أللهارب أجنحة ؟

أوطيفرون : لا ! انه لا يمتاز بحضور البديهة في سنه هذه •

سقراط : ومن هو ذا ؟

أوطيفرون : انه أبي ٠

سقراط : أبوك يا رفيقي العزيز ؟!

أوطيفرون : نعم ٠

سقراط : وبماذا اتهمته ؟

أوطيفرون : بالقتل يا سقراط ٠

سقراط : يا للآلهة يا أوطيفرون ! ما أقل ما يعلم غمار الناس عن الحق والصواب ، انه لا بد للانسان أن يكون ممتازا وأن يكون قد خطا في الحكمة خطوات فسيحة ، حتى يستطيع أن يتلمس سبيله الى مثل هذه الدعوى ٠

أوطيفرون : حقا يا سقراط ، لا بد أن يكون كذلك ٠

سقراط : أحسب أن الرجل الذي قتله أبوك كان أحد أقربائك ، لا شبهة في هذا ، لأنه لو كان غريبا لما فكرت قط في اتهامه ٠

أوطيفرون : يدهشني يا سقراط أن أراك

تفرق بين القريب والغريب ، اذ لا شك أن جرمك هو هو في كلتا الحالتين ، اذا أنت ظاهرت القاتل عن عمد ، حيث ينبغي عليك أن تبريء نفسك وتبرئه باقامة الدعوى عليه ، فالسؤال الصحيح هو هل قتل القتيل عدلا ؟ فان كان قد قتل عدلا ، فواجبك أن تدع الأمر جانبا ، أما اذا كان ظلما فلا بد أن تشكو القاتل . حتى لو كان يساكنك تحت سقف واحد ، ويطعم معك على مائدة واحدة ، وقتيلنا هذا كان رجلا فقيرا يعتمد على معونتي ، وكان يشتغل فلاحا في حقلنا في ناكسوس ، وذات يوم أخذته نشوة الخمر فاعترك مع خادم بالمنزل وقتله ، فكبله أبي يدا وقدما وقذف به في خندق ، ثم أرسل الى أثينا ليستفتي كاهنا عما يجب أن يفعل به ، وكان في ذلك الحين لا يأبه له ولا يعنى به لأنه اعتبره قاتلا ، وظن أن لن يقع ضرر جسيم حتى ولو أصابه الموت ، وذلك بعينه ما حدث ، فقد أثر فيه البرد والجوع والاغلال التي تكبله تأثيرا أدى الى موته قبل عودة الرسول من لدن الكاهن ، وأبي وأسرتي غاضبان مني لنيابتي عن القاتل في اتهام أبي زاعمين أنه لم يقتله ، وأنه حتى لو فعل ذلك فما الميت الا قاتل ، وما ينبغي لي أن أأبه له ، لأن

ابنا يتهم أباه فهو فاجر ، ذلك يدل يا سقراط على مبلغ علمهم الضئيل برأي الآلهة في التقوى والفجور .

سقراط : يا لله يا أوطيفرون ! وهل بلغ علمك بالدين وبالتقوى وبالفجور مبلغ الدقة العظيمة بحيث لو سلمنا أن الظروف كانت كما تروي ، فلا تخشى أنك أنت كذلك قد ترتكب شيئا من الفجور في اقامة الدعوى على أبيك ؟

أوطيفرون : ان أفضل ما في أوطيفرون ، وهو ما يميزه يا سقراط من سائر الناس ، هو دقلة علمه بمثل هذه المسائل جميعا ، وهل تراني أصلح لشيء لو سلبتني ذلك العلم ؟

سقراط : أيها الصديق النادر ! أحسب أن خير ما أصنعه أن أكون تلميذا لك ، واذن فسأتحدى مليتس قبل أن تحين المحاكمة معه ، وسأقول له : انني ما فتئت عظيم الشغف بالمسائل الدينية ، فما دام يتهمني بطيش الخيال والابداع في الدين ، فقد أصبحت تلميذا لك . انك يا مليتس ـ هكذا سأسوق اليه القول ـ تعترف بأن أوطيفرون لاهوتي

عظيم ، وبأنه سديد الرأي ، فاذا اعترفت به وجب أن تعترف بي ، وألا تدعوني للمحكمة ، أما اذا أنكرته فقد وجب عليك أن تبدأ باتهامه لأنه معلمي ، ولأنه سيكون فسادا ، لا للشبان ، بل للشيوخ ، أعني فسادا لي لأنه يعلمني ، وفسادا لأبيه اذ ينذره ويعاقبه • فاذا أبي مليتس أن يصغي الي ، ومضى في سبيله دون أن ينقل الدعوى مني اليك ، فخير ما أصنعه أن أكرر هذا التحدي في المحكمة •

أوطيفرون : نعم ولا ريب يا سقراط ، فاذا ما حاول أن يتهمني ، فأنا المخطيء ان لم أجد له مغمزا فتوجه اليه المحكمة من القول أكثر جدا مما توجهه الي •

سقراط : ولما كنت يا صديقي العزيز أعلم عنك هذا ، فأنا راغب في أن أكون تلميذا لك ، اذ يلوح لي أنك لست ملحوظا من أحد ، فلم يلحظك حتى مليتس هذا ، ولكن عينيه الحادتين قد استكشفتاني على الفور فاتهمني بالفجور ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك أن تنبئني حقيقة التقوى والفجور التي قلت انك تعلمها جيد العلم ، كما

تنبئني بطبيعة القتل وسائر ضروب الاعتداء على الالهة ، ما هي ؟ أليست التقوى في كل فعل هي هي دائما ؟ وكذلك الفجور ، أليس دائما نقيض التقوى ؟ ثم أليس هو هو دائما ، فله تعريف واحد يشمل كل ما هو فاجر ؟

أوطيفرون : كن على يقين من ذلك يا سقراط ·

سقراط : وما التقوى وما الفجور ؟

أوطيفرون : التقوى هي أن تفعل كما أنا فاعل ، أعني أن تقيم الدعوى على كل من يقترف جريمة القتل أو الزندقة أو ما الى ذلك من الجرائم، سواء أكان أباك أم أمك أم كائنا من كان ، فذلك لا يبدل من الامر شيئا ، وأما الفجور فهو ألا تقيم على هؤلاء الدعوى ، وأرجو أن ترى يا سقراط الدليل الساطع الذي أقيمه لك على صدق ما أقول، وهو دليل سقته بالفعل الى سائر الناس ، برهانا على مبدأ أن الفاجر لا ينبغي أن ينجو من العقاب كائنا من يكون · ألا ترى الى الناس كيف يعدون « زيوس » أفضل الآلهة وأقدمهم مع اعترافهم بأنه كبل سلفه « كرونوس » لأنه مزق أبناءه تمزيقا

مروعا ، بل انهم ليقرون أنه أنزل العقاب بأبيه نفسه « أورانوس » لسبب شبيه بهذا عقابا يفوق الوصف ، ثم يغضبون مني اذا أنا أقمت الدعوى على أبي ، وهكذا ترى الناس يتناقضون في موقفهم ازاء الآلهة وازائي ·

سقراط : ألا يجوز يا أوطيفرون أن أكون قد رميت بالفجور لأني أمقت هذه الأقاصيص التي تروى عن الآلهة ؟ واذن فأحسب أن الناس قد أخطأوا فهمي ، ولكن ما دمت أنت تسلم بها وأنت الخبير بها ، فخير ما أصنعه هو أن أستسلم لحكمتك العليا · ماذا أقول غير هذا ، وأنا معترف بأنني لا أعلم عنها شيئا ؟ نشدتك حب « زيوس » الا أنبأتني هل تعتقد حقا في صدقها ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، بل وهنالك من الأشياء ما هو أشد عجبا والناس عنها غافلون ·

سقراط : وهل تعتقد حقا أن الآلهة كان يحارب بعضها بعضا ، وأن قد نشبت بينها معارك ومواقع حامية ، كما يقول الشعراء ، وما تستطيع أن تراه مبسوطا في تآليف الأعلام من رجال الفن ؟ ان المعابد ملأى بها ، وانك لترى بخاصة ثوب

الذي يقدم الى الأكروبوليس عند المظيمة موشى بها . أكل هذه القصص عن الآلهة حق يا أوطيفرون ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، وأعود فأقول انني أستطيع أن أنبئك باشياء كثيرة أخرى عن الآلهة تثير منك أبلغ الدهشة اذا أنت أصغيت اليها .

سقراط : أود هذا ، ولكن أحب أن تنبئنيها في ساعة أخرى من فراغي ، أما الآن فأوثر أن أسمع منك جوابا دقيقا لم تعطنيه حتى الآن يا صديقي عن سؤالي : ما التقوى ؟ اذ أنك لم تجب حين سألتك الا بقولك : انها فعل ما أنت فاعل ، أي اتهام أبيك بالقتل .

أوطيفرون : وما قلته لك يا سقراط حق .

سقراط : لست أشك في ذلك يا أوطيفرون ، ولكني أحسبك مسلما بأن هنالك في التقوى أفعالا كثيرة أخرى .

أوطيفرون : نعم هنالك .

سقراط : تذكر أني لم أطلب اليك أن تضرب لي للتقوى مثلين أو ثلاثة ، بل أن تشرح الفكرة العامة التي من أجلها تكون الاشياء التقية كلها تقية . ألا تذكر أن ثمة فكرة واحدة من أجلها كان الفاجر فاجرا والتقي تقيا ؟

أوطيفرون : أذكر ذلك .

سقراط : أنبئني ما حقيقة هذه الفكرة ، حتى يكون لدي معيار أنظر اليه ، وأقيس به الافعال ، سواء في ذلك أفعالك أم أفعال سواك ، وحينئذ أستطيع أن أقول ان هذا العمل المعين تقي وان ذلك فاجر .

أوطيفرون : سأنبئك ان أردت .

سقراط : لشد ما أريد .

أوطيفرون : اذن فالتقوى هي ما هو عزيز لدى الآلهة ، والفجور هو ما ليس بعزيز لديهم .

سقراط : جد جميل يا أوطيفرون ، لقد أدليت لي الآن بالجواب الذي أردت ، لكنني لا أستطيع

حتى الآن أن أقرر ان كان ما تقوله حقا أم لا ، ولو أنني لا أشك في أنك ستقيم الدليل على صدق عبارتك ٠

أوطيفرون : بالطبع ٠

سقراط : اذن فتعال معي نختبر ما نقول ، ان هذا الشيء أو هذا الشخص عزيز لدى الآلهة فهو تقي ، وذلك الشيء أو ذاك الشخص ممقوت من الآلهة فهو فاجر ٠ فكأن التقوى والفجور طرفان يناقض كل واحد منهما الآخر ، ألم نقل هذا !

أوطيفرون : نعم ٠

سقراط : ألم نحسن التعبير عنه ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، اني أعتقد ذلك ، لقد قلنا ذلك من غير شك ٠

سقراط : وماذا يحدث لو اختلف الآلهة في الرأي ، هذا فضلا عما سلمنا به يا أوطيفرون من للآلهة ما يعادونه وما يمقتونه ، ومن أن بينهم شيئا من أوجه الخلاف ٠

أوطيفرون : نعم لقد قلنا ذلك أيضا .

سقراط : وأي ضرب من الخلاف يولد العداوة والغضب ؟ افرض مثلا يا صديقي العزيز أنك اختلفت واياي على عدد ، هل هذا النوع من الخلاف يعادي بيننا ويفرق أحدنا عن الآخر ؟ ألسنا نلجأ من فورنا الى الحساب ونفض ما بيننا من خلاف بعملية حسابية ؟

أوطيفرون : هذا حق .

سقراط : أو هبنا اختلفنا على أطوال ، ألسنا نسارع الى القياس لنفض الخلاف ؟

أوطيفرون : جد صحيح .

سقراط : كما نمحو ما بيننا من تضاد حول الثقيل والخفيف بأن نلجأ الى آلة وازنة ؟

أوطيفرون : لا ريب في هذا .

سقراط : ولكن أي أنواع الخلاف لا يمكن تسويتها على هذا النحو ، وأيها اذن يثير فينا الغضب ويقفنا موقف العداوة أحدنا من الآخر ؟

أظن أن الجواب لا يحضرك الآن ، وعلى ذلك فأنا أبسط رأيي بأن هذه العداوة انما تنشأ حينما يكون موضوع الخلاف هو العادل والظالم ، والخير والشرير ، والشريف والوضيع ، أليست هذه نقط الخلاف بين الناس والتي نشتجر بسببها ، اذ نشتجر أنا وأنت وكلنا جميعا ، حينما نعجز عن تسوية أوجه الخلاف تسوية مرضية ؟

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، ان أوجه الخلاف التي نشتجر حولها هي في حقيقتها كما تصف ٠

سقراط : أي أوطيفرون النبيل ! أوليس التشاجر بين الآلهة حيثما وقع هو شيء كهذا في طبيعته ؟

أوطيفرون : لا شك في أنه كذلك ٠

سقراط : ان بينهم خلافا في الرأي كما تقول عن الخير والشرير والعادل والجائر والشريف والوضيع ، فلو لم يكن بينهم هذا الخلاف لما كان بينهم اشتجار ، أليس كذلك ؟

أوطيفرون : انك جد مصيب ٠

سقراط : ألا ترى أن كل انسان يحب ما يراه نبيلا وعادلا وخيرا ، ويمقت نقيض هؤلاء ؟

أوطيفرون : جد صحيح .

سقراط : ولكن الناس كما تقول يرون أشياء بعينها ، فيعدها بعضهم عادلة ، ويعدها بعضهم جائرة ، وهم يتنازعون حولها ، فتنشأ لهذا بينهم الحروب والمعارك .

أوطيفرون : جد صحيح .

سقراط : اذن فأشياء بعينها يكرهها الآلهة ويحبها الآلهة وهي ممقوتة منهم وعزيزة لديهم في وقت معا ؟

أوطيفرون : صحيح .

سقراط : وعلى هذا الاساس تكون أشياء بعينها يا أوطيفرون تقية وفاجرة معا ؟

أوطيفرون : أظن ذلك .

سقراط : اذن فيدهشني يا صديقي العزيز أن

أراك لا تجيب السؤال الذي سألتكه ، فلا ريب أني لم أطلب اليك أن تذكر لي الفعل الذي يكون تقيا وفاجرا معا ، ولكن ها قد بدا لي أن الآلهة يحبون ما يكرهون ، وعلى ذلك يا أوطيفرون فقد يرجح أن تكون في عقابك لأبيك فاعلا ما يرضي «زيوس» ، وما يغضب « كرونوس » أو « أورانوس » وما يقبله « هفيستوس » وما يرفضه « هري » وقد يكـون هنالك من الآلهة الآخرين من يكون بينهم خلاف في الرأي شبيه بهذا ٠

أوطيفرون : ولكنني أعتقـد يا سقـراط أن الآلهة جميعا سيتفقون على وجوب عقاب القاتل ، فلن يكون ثمة من خلاف في الرأي حول هذا ٠

سقراط : حسنا ، فلنتحـدث عن البشر يـا أوطيفرون ٠ فهل سمعت قط أحدا يقيم الحجة على أنه ينبغي أن يطلق سراح القاتل أو فاعل الشر أيا كان ؟

أوطيفرون : اني لأقرر أن هذه هي المشاكـل التي لا ينفك الناس يجادلون فيها ، ولا سيما في ساحات القـانون ٠ انهـم يقترفون كـل ضروب

الجرائم ، ثم لا يحجمون عن قول أو فعل دفاعا عن أنفسهم .

سقراط : ولكن هل يعترفون بجرمهم يا أوطيفرون ، ثم يزعمون ألا ينبغي أن ينزل بهم عقاب ؟

أوطيفرون : لا ، انهم لا يفعلون .

سقراط : اذن فهنالك من الاشياء ما لا يستطيعون لها قولا ولا فعلا ، لأنهم لا يجرؤون أن يقيموا الدليل على وجوب افلات المذنبين من العقاب ، بل يعمدون الى انكار جرمهم ، أليس كذلك ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : اذن فهم لا يزعمون أن فاعل الشر لا يجوز أن يعاقب ، ولكنهم يجادلون في من هو فاعل الشر ، وماذا فعل ومتى !

أوطيفرون : صحيح .

سقراط : وهذا نفسه هو موقف الآلهة ان كانوا

كما تقول أنت يختلفون في العادل والجائر · وان كان بعضهم يثبت أن الظلم قد يحدث بينهم بينما ينكر ذلك آخرون · فلا ريب في أن الله والانسان كليهما لا يجرؤان قط أن يقولا ان مرتكب الظلم لا ينبغي أن يعاقب ·

أوطيفرون : هذا حق في أساسه يا سقراط ·

سقراط : ولكنهم يختلفون في التفصيلات ، سواء في ذلك الآلهة والناس · فاذا كان ثمة بينهم من نزاع فانما يتنازعون على فعل معين يكون موضوع البحث ، فيقرر بعضهم أنه عادل ويثبت الآخرون أنه جائر · أليس ذلك صحيحا ؟

أوطيفرون : انه جد صحيح ·

سقراط : اذن فأنبئني ـ أي عزيزي أوطيفرون ـ فذلك أقوم لتعليمي وارشادي ، أي برهان تقيم على أن بين آراء الآلهة كلهم اجماعا على أن خادما جريمته القتل مكبل بالأغلال سيد القتيل ، فمات بفعل الاغلال قبل أن يعلم مكبله من رسل الله ماذا ينبغي أن يفعل به ، يكون قد مات ظلما ؟ وأي برهان تقيم على أن ابنا ينبغي

أن يقيم على أبيه الدعوى نيابة عن مثل ذلك الخادم ، متهما اياه بالقتل ؟ كيف تبرهن على أن الآلهة جميعا تتفق اتفاقا تاما على قبول فعله ؟ أقم لي الدليل على أنهم يفعلون ذلك أمدح لك فعلتك ما حييت ٠

أوطيفررن : انه عمل مضن ، ولكنني أستطيع أن أوضح لك الامر وضوحا تاما ٠

سقراط : أفهم ما تقول ، فأنت تريد أني لست سريع الفهم كالقضاة : اذ حتم عليك أن تبرهن لهم على أن الفعل جائر ومكروه من الآلهة ٠

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، لا شك في هذا ، ولا سيما ان أنصتوا لما أقول ٠

سقراط : انهم لا بد منصتون ان رأوا أنك متكلم قدير ٠ لقد اختلجت في نفسي فكرة اذ كنت تتحدث ، قلت لنفسي ماذا عسى أن أفيد ان أقام لي أوطيفرون الدليل على أن الآلهة جميعا يعدون موت العبد ظلما ؟ كيف يزيدني ذلك علما عن حقيقة التقوى والفجور ؟ اذ لو سلمنا أن هذا الفعل قد يكون مكروها من الآلهة ، فليس هذا

التحديد تعريفا دقيقا للتقوى والفجور ، فلقد رأينا أن ما تكرهه الآلهة هو في نفس الوقت سار لهم وعزيز لديهم ، وعلى ذلك فلا أطلب اليك يا أوطيفرون أن تقيم على هذا دليلا ، وسأفرض ـ ان أردت ـ أن الآلهة جميعا تنكر مثل هذا الفعل وتمقته ، ولكني سأعدل التعريف بحيث يكون أن ما يجمع الآلهة على كرهه فهو فاجر ، وأن ما يحبونه تقي مقدس • وأن ما يحبه بعضهم ويكرهه بعضهم الآخر فهو تقي وفاجر معا ، أو لا هو هذا ولا ذاك ، فهل توافق على هذا التعريف للتقوى والفجور ؟

أوطيفرون : لم لا أوافق يا سقراط ؟

سقراط : لم لا توافق ! يقيني يا أوطيفرون أن ليس ثمة ما يبرر ـ فيما أعلم ـ ألا يكون التعريف هكذا ••• أما هل يفيدك قبول هذا التعريف فائدة عظيمة في تعليمي الذي وعدتني به ، فذلك أمر موكول لك النظر فيه •

أوطيفرون : نعم ، ينبغي أن أقول ان ما تجمع الآلهة على حبه تقي مقدس ، وان نقيضه الذي يجمعون على كرهه فاجر •

سقراط : هل يجب علينا أن نبحث في صحة هذا يا أوطيفرون أم نسلك بالعبارة تسليما ، متخذين من أنفسنا ومن سوانا حجة نعتمد عليها ؟ مـاذا ترى ؟

أوطيفرون : يجب أن نبحثها ، وأعتقـد أن العبارة ستصمد لتجربة البحث .

سقراط : أي صديقي العزيز ! لن تمضي برهة قصيرة ، حتى نزداد علما ، غير أني أود أن أعلم قبل كل شيء اذا كان التقى أو المقدس محببا الى الآلهة لأنه مقدس ، أم أنه مقدس لأنـه محبـب لديهم .

أوطيفرون : لا أفهم ما تريد يا سقراط .

سقراط : سأحاول الشرح : اننا نفرق في حديثنا بين أن تحمل وأن تُحمل ، وبين أن تقود وأن تقاد، وبين أن ترى وأن تُرى ، وانك لتعلم أن ثمـة اختلافا في هذه الحالات جميعا ، كما تعلم كذلك مواضع هذا الخلاف ؟

أوطيفرون : أحسبني أفهم ما تقول .

سقراط : ثم أليس المحبوب متميزاً عن المحب ·

أوطيفرون : يقينا ·

سقراط : هذا جميل ، اذن فحدثني أيكــون الشيء المحمول في حالة الحمل لأنه محمول أم لسبب آخر ؟

أوطيفرون : كلا ، بل لهذا السبب ·

سقراط : وهل هذا صحيح بالنسبة لما يُقاد وما يُرى ؟

أوطيفرون : حقا ·

سقراط : ولا يكون الشيء مرئيا لأن في الامكان رؤيته ، بل على العكس هو ممكن الرؤية لأنــه مرئي ، كما لا يكون الشيء منقادا لأنه في حالــة الانقياد ، أو محمولا لأنه في حالة الحمل ، بــل العكس هو الصحيح · أظن يا أوطيفرون أن مــا أقصده أصبح يسير الفهم · وانما أقصد أن أية حالة من حالات الفعل أو العاطفة تتضمن فعلا أو عاطفة سابقة لها ، فالشيء لا يتحول لأنه متحــول ولكنه في حالة التحول لأنه يتحول ، كما أن الشيء

لا يتألم لأنه في حالة الألم ، ولكنه في حالة الالم لانه يتألم . ألا توافق ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : ألا يكون الشيء المحبوب في حالة ما من حالات التحول أو الألم ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : وما مر بنا في الامثلة السابقة صحيح هنا ، فحالة كون الشيء محبوبا يتبع فعل كونه محبوبا ، ولكن لا يتبع الفعل الحالة .

أوطيفرون : يقينا .

سقراط : وماذا تقول عن التقوى يا أوطيفرون؟ أليست التقوى بناء على تعريفك محبوبة لدى الآلهة جميعا ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : ألأنها تقية أو مقدسة أم لسبب آخر ؟

أوطيفرون : لا ، بل لهذا السبب .

سقراط : انها محبوبة لأنها مقدسة وليست مقدسة لأنها محبوبة ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : وما هو عزيز لدى الآلهة يكون محبوبا لديهم ، وهو في هذه الحالة من حب الآلهة له لأنه محبوب لديهم ؟

أوطيفرون : يقينا .

سقراط : اذن فما هو عزيز لدى الآلهة ، أي أوطيفرون ، ليس مقدسا ، ولا ما هو مقدس محبوب لدى الله ، كما تقرر أنت، ولكنهما شيئان مختلفان .

أوطيفرون : ماذا تريد يا سقراط ؟

سقراط : أريد أننا قد سلمنا بأن المقدس محبوب لدى الله لأنه مقدس ، وليس هو مقدسا لأنه محبوب .

أوطيفرون : نعم .

سقراط : أما ما هو عزيز لدى الآلهة فهو عزيز لأنه محبوب ، وليس هو محبوبا لأنه عزيز .

أوطيفرون : حقا .

سقراط : ولكن يا صديقي أوطيفرون ، اذا كان ما هو مقدس نفس ما هو عزيز لدى الله ،

وكان محبوبا لأنه مقدس ، لكان ما هو عزيز لدى الله محبوبا لأنه عزيز لدى الله • أما اذا كان ما هو عزيز لدى الله عزيزا لأنه محبوب لديه ، لكان ما هو مقدس مقدسا لأنه محبوب لديه ، ولكنك ترى أن الامر على عكس ذلك ، وأنهما مختلفان أشد الخلاف أحدهما عن الآخر ، فأولهما من نوع يحب لأنه محبوب ، وأما الثاني فمحبوب لأنه من نوع يحب ، وهكذا يلوح لي يا أوطيفرون ، حين أسالك عن جوهر القداسة ، أنك تجيبني بالعرض فقط لا بالجوهر ، أعني عرض كونها محبوبة لدى الآلهة جميعا ، ثم انك لتأبى مع ذلك أن تشرح لي حقيقة القداسة ، ولهذا أتوسل اليك ، أن تتفضل علي ، فلا تخف كنزك عني ، وأن تنبئني مرة أخرى ما حقيقة القداسة أو التقوى ؟ هل هي عزيزة لدى الآلهة أم لا فذلك أمر لن نشتجر فيه ثم ما الفجور ؟

أوطيفرون : حقا يا سقراط لست أدري كيف أعبر عما أريد ، اذ يلوح أن براهيننا تدور ثم تفلت منا ، على نحو لا أدريه ، أيا كان الاساس الذي نقيمها عليه •

سقراط : ألا ان ألفاظك يا أوطيفرون لشبيهة بنسج سلفي ديدالوس ، ولو كنت أنا قائلهـا أو موحيها لجاز لك أن تقول ان براهيني تفـر ولا تستقر حيث وضعت لأنني من سلالة ديدالوس ، أما والآراء آراؤك أنت فينبغي أن تلتمس سخرية أخرى ، فآراؤك بغير شك مضطربة كمـا اعترفت بنفسك .

أوطيفرون : لا يا سقراط ، فما أزال أزعم ، أنك أنت ديدالوس الـذي يحـدث في البراهـين الاضطراب ، فلست أنا ، ولا ريب ، الذي يقلقها ، ولكنك أنت الذي تضطرها أن تتحرك أو تدور . ولو كان أمرها بيدي وحدي لما أصابها اضطراب قط .

سقراط : اذن فلا بد أن أكون أعظـم مـن ديدالوس ، اذ بينما هو لم يستطع أن يحرك الا ما صنعت يداه ، تراني أحرك صنائع سواي : ولكن الجميل في الأمر هو أنني لا أود أن أفعل ذلك ، بل اني لأستغني عن حكمة ديدالوس وثروة تانتالوس ان أتيح لي أن أمسكها (أي الصنائع) وأقـوي دعائمها . ولكن دع هذا فسأحاول بنفسي أن أدلك

كيف تعلمني حقيقة التقوى ، لأني أراك كسولا • وأرجو الا تتذمر من العمل • حدثني اذن هل العدل والتقوى شيء واحد أم التقوى جزء من العدل ؟ أليس ما هو تقي عادلا بالضرورة ؟

أوطيفرون : نعم •

سقراط : ثم أليس كل ما هو عادل تقيا ؟ أو أليس ما هو تقي عادلا كله ، أما ما هو عادل فتقي بعضه فقط لا كله ؟

أوطيفرون : لست أفهمك يا سقراط •

سقراط : ومع ذلك فأنا أعلم أنك أحكم مني بقدر ما أنت أصغر مني ، ولكني أعود فأقول ، أي صديقي العزيز ، ان غزارة حكمتك ولدت فيك الكسل • أرجو أن تجهد نفسك ، فالحق أن ليس فهم قولي عسيرا ، وأستطيع أن أشرح لك ما أريد بمثل مما لا أريد ، فقد أنشد الشاعر «ستاسينوس» قائلا :

انك لن تروي شيئا عن زيوس ، مبدع
هذه الاشياء كلها وخالقها ، اذ حيث

يكون الخوف يكون التقديس الى جانبه

أما أنا فلست أوافق هذا الشاعر · أأنبئك في أي شيء أخالفه ؟

أوطيفرون : نعم ·

سقراط : لست أرى أنه حيث يكون الخوف يكون الى جانبه التقديس ، لأنني على يقين أن كثيرا من الناس يخشى الفقر والمرض وسائر هذه الشرور ، ولكني لا أراهم يقدسون ما يخشون ·

أوطيفرون : جد صحيح ·

سقراط : ولكن حيث يكون التقديس يكون الخوف لأن من يحس شعور التقديس والعار من ارتكاب فعل ما ، يخاف ويخشى سوء الأحدوثة ·

أوطيفرون : لا شك ·

سقراط : اذن فنحن مخطئون في قولنا انه حيث يكون الخوف يكون التقديس أيضا · ويجب أن نقول انه حيث يكون التقديس يوجد الخوف كذلك · ولكنك لا ترى التقديس دائما حيث ترى الخوف ،

لأن الخوف فكرة أوسع والتقديس جزء من الخوف، كما أن الفردي جزء من العدد والعدد فكرة أوسع من الفردي • أظن أنك تدرك الآن ما أقول ؟

أوطيفرون : أدركه تمام الادراك •

سقراط : ذلك هو نوع السؤال الذي أردت أن أثيره حين سألتك هل العادل تقي دائما ، أم التقي دائما عادل • وهل من الجائز ألا تكون عدالة حيث لا تكون التقوى ، لأن العدالة فكرة أوسع ،وليست التقوى الا جزءا منها ، أأنت مخالفي في هذا ؟

أوطيفرون : لا ، أظن أنك على حق تام •

سقراط : اذن ، فاذا كانت التقوى جزءا من العدالة ، فأحسب أن واجبنا أن نبحث أي جزء هو ؟ اذا أنت تابعت البحث في الاحوال السالفة ، فسألتني مثلا ما العدد الزوجي ، وأي جزء من العدد ترى يكون الزوجي ، لما ألفيت عسرا في الجواب بأنه العدد الذي يمثل رقما له جانبان متساويان • ألست توافق ؟

أوطيفرون : نعم اني موافقك تماما •

سقراط : وعلى مثل هذا النحو ، أريد أن تنبئني أي جزء من العدالة ترى تكون التقوى أو القداسة ، لكي أستطيع أن أطلب الى ملتبس ألا يأخذني بالظلم أو يتهمني بالفجور ما دمت الآن قد تزودت منك بعلم صحيح عن طبيعة التقوى أو القداسة ونقيضها !

أوطيفرون : يلوح لي أن التقوى أو القداسة يا سقراط هي ذلك الجزء من العدالة الذي تخدم به الله ، وأما الجزء الآخر من العدالة فتخدم به صالح الناس ٠

سقراط : هذا حسن يا أوطيفرون ، ولكن لا تزال عندي مسألة يسيرة أريد أن أستزيد بها علما ٠ ما معنى « الخدمة » ؟ اذ من العسير أن تطلق لفظ الخدمة ، حين تتحدث عن الآلهة ، بنفس المعنى الذي تطلقه به حين تتحدث عن سائر الاشياء ٠ فيقال مثلا ان الجياد بحاجة الى الخدمة ، وليس كل انسان قادرا أن يخدمها ، انما يستطيع ذلك الشخص الماهر في سياسة الجياد دون غيره ــ أليس كذلك ؟

أوطيفرون : يقينا ٠

سقراط : وأنا أظن أن فن سياسة الجياد هو فن

خدمتها ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : كذلك ليس كل انسان قادرا على خدمة الكلاب ، انما الكفء لذلك هو الصائد وحده ؟

أوطيفرون : صحيح .

سقراط : وأرى أيضا أن فن الصائد هو فن خدمة الكلاب ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : كما أن فن راعي الابقار هو فن خدمتها ؟

أوطيفرون : جد صحيح .

سقراط : وهل على هذا النحو نفسه تكون القداسة أو التقوى هي فن خدمة الآلهة ؟ ـ أذلك ما قصدت اليه يا أوطيفرون ؟

أوطيفرون : نعم .

سقراط : وهلا يقصد دائما بالخدمة أن تكون لخير أو لنفع المخدوم ؟ فكما رأيت في حالة الجياد انها حين وجهت اليها خدمة السائس ، أفادت

وتحسنت ، أليس كذلك ؟

أوطيفرون : صحيح ٠

سقراط : كما تستفيد الكلاب من فن الصائد ، والثيران من فن راعيها ، وسائر الاشياء جميعا تتجه أو توجه لخيرها لا لأذاها ؟

أوطيفرون : يقينا انها لن تتجه لأذاها ٠

سقراط : ولكن لخيرها ؟

أوطيفرون : بالطبع ٠

سقراط : وهل التقوى أو القداسة ، التي عرفناها بأنها فن خدمة الآلهة ، تنفعها أو تقومها ؟ هل تزعم أنك حين تؤدي شعيرة تصلح شأن واحد من الآلهة ؟

أوطيفرون : لا ، لا ٠ يقينا لم يكن ذلك ما قصدت اليه ٠

سقراط : وأنا يا أوطيفرون لم أرفض قط أنك قصدت الى ذلك ، لقد وجهت اليك سؤالي عن طبيعة الخدمة لأنني كنت أظن أنك لم تقصد الى مثل هذا٠

أوطيفرون : لقد أنصفتني يا سقراط ، ليس هذا هو نوع الخدمة التي أريد ٠

سقراط : جميـــل ولكن ينبغـــي لي أن أعــود فأسألك ما تلك الخدمة للآلهة التي تسمى بالتقوى ؟

أوطيفرون : انه يا سقراط ذلك النوع مــن الخدمة الذي يؤديه الخدمة لسادتهم ٠

سقراط : أفهم ما تريد ٠ نوع من الخدمــة للآلهة ٠

أوطيفرون : هو كذلك ٠

سقراط : والطب أيضا ضرب من الخدمة التي يقصد منها الوصول الى غرض معين ــ الى الصحة ــ أليس كذلك ؟

أوطيفرون : نعم ٠

سقراط : كذلك هنالك فن يخدم صانع السفن يقصد به الوصول الى نتيجة معينة ٠

أوطيفرون : نعم يا سقراط ، يقصد به بناء السفينة ٠

سقراط : كما أن هنالك فنا يخدم البناء ، وهو

يرمي الى تشييد الدور ٠

أوطيفرون : نعم ٠

سقراط : والآن حدثني يا صديقي العزيز عن الفن الذي يخدم الآلهة ، أي غرض يعمل ذلك الفن على أدائه ، فلا ريب في أنك بذلك عليم ، اذا كنت بين الاحياء من الرجال أكثرهم علما بالدين كما تقول ٠

أوطيفرون : وانما أقول الحق يا سقراط ٠

سقراط : حدثني اذن ، نعم حدثني ما هو العمل الجميل الذي تؤديه الآلهة بفضل خدماتنا لهم ؟

أوطيفرون : انهم يعملون يا سقراط أعمالا كثيرة وجميلة ٠

سقراط : وكذلك القائد يا صديقي ٠ فانه يعمل أعمالا كثيرة وجميلة ، ولكن من اليسير أن نذكر أهم أعمال القائد ، ألست ترى أن النصر في الحرب هو أهم أعماله ؟

أوطيفرون : يقينا ٠

سقراط : وكذلك أعمال الزراع كثيرة وجميلة، اذا لم أكن مخطئا ، ولكن عمله الرئيسي هو انتاج الطعام من الارض ٠

أوطيفرون : هو كذلك ٠

سقراط : ومن الاشياء الكثيرة الجميلة التي يؤديها الآلهة ، أيها الرئيس الهام ؟

أوطيفرون : لقد أنبأتك فيما سلف يا سقراط أن الاحاطة بكل هذه الاشياء على وجه الدقة جد مضنية ، ولأقل لك في بساطة ان التقوى أو القداسة هي أن تعلم كيف تسر الآلهة في القول والعمل بالصلاة والضحايا ، وفي مثل هذه التقوى خلاص الأسرات والدول ، كما أن دمارها وخرابها هما في العمل الفاجر الذي يغضب الآلهة ٠

سقراط : أظنك كنت تستطيع أن تجيب في عبارة أوجز بكثير من هذه ـ لو أردت ـ عن السؤال الرئيسي الذي وجهته اليك يا أوطيفرون ، ولكني أرى في وضوح أنك لا تريد أن تعلمني ، فذلك جلي ، والا فلماذا درت بالحديث اذ بلغنا بيت القصد ، فلو أنك أجبتني اذن لعلمت بحق طبيعة

التقوى ، ولما كنت باعتباري سائلا معتمدا بالضرورة على المجيب فلا بد أن أتبعه الى حيث يقودني ، فلا يسعني الا أن أعيد السؤال : ما التقي وما التقوى ؟ أتريد أن تقول انهما ضرب من علم الصلاة والتضحية ؟

أوطيفرون : نعم اني أريد ذلك ·

سقراط : والتضحية هي قربا للآلهة ، والصلاة طلب منهم ·

أوطيفرون : نعم يا سقراط ·

سقراط : وعلى هذا الاساس اذن تكون التقوى هي علم الأخذ والعطاء ؟

أوطيفرون : انك تفهمني الآن يا سقراط فهما جيدا ·

سقراط : نعم يا صديقي ، وعلة ذلك أنني تلميذ متحمس لعلمك ، فأنا ألقي بالي اليه ، وعلى ذلك فلن يفلت مني شيء مما تقول · تفضل اذن فنبئني ما طبيعة هذه الخدمة للآلهة ؟ أهي في رأيك تقدمنا اليهم بالرجاء وتقديمنا لهم العطايا ؟

أوطيفرون : نعم هذا ما أعني ·

سقراط : أليست الوسيلة الصحيحة لرجائهم هي أن نطلب منهم ما نريد ٠

أوطيفرون : يقينا ٠

سقراط : والوسيلة الصحيحة للعطاء هي أن نعطيهم في المقابل ما يريدونه منا ، فلا خير في فن يعطى لأي أحد ما لا يريد ٠

أوطيفرون : جد صحيح يا سقراط ٠

سقراط : اذن فالتقوى يا أوطيفرون هي فن لدى الآلهة والناس ، يتصلون به بفريق ؟

أوطيفرون : نستطيع أن نستخدم هذا التعبير — ان أردت ٠

سقراط : ولكنني لست حريصا على حب شيء غير الحق ، ومع ذلك فأحب أن تدلني أي نضع تجنيه الآلهة من عطايانا ؟ فليس من شك في نفع ما يعطوننا اياه ، اذ ليس ثمة من خير لا يهبوننا اياه ٠ أما كيف نستطيع نحن أن نعطي لهم خيرا في مقابل ما أعطونا فأبعد ما يكون عن هذه الدرجة من الوضوح ٠ فاذا كانوا يعطوننا كل شيء ولا نعطيهم شيئا فتلك مبادلة لنا فيها الصفقة من دونهم ٠

أوطيفرون : وهل يخيل اليك يـا سقراط أن الآلهة تجني من عطايانا نفعا ما ؟

سقراط : فـان كانوا لا يجنـون شيئـا يـا أوطيفرون ، فأي معنى لما نقدم لهم من العطايا ؟

أوطيفرون : ليس ذلك الا جزية الشرف وهو كما أسلفت لك القول يسر الآلهة ٠

سقراط : التقوى اذن تسر الآلهة ، ولكنهـا ليست بنافعة لهم أو عزيزة لديهم ؟

اوطيفرون : اني أرى أنه ليس ثمة ما هو أعز لدى الآلهة منها ٠

سقراط : واذن فأنت تعيد القول مرة أخرى بأن التقوى عزيزة لدى الآلهة ؟

أوطيفرون : يقينا ٠

سقراط : أوتعجب وأنت تقول هذا اذ تـرى عبارتك لا تشبث بل تعمد الى الهروب ؟ أتتهمني باني « ديدالوس » الذي يؤدي بها الى الهروب ، ولا تدرك أن ثمة فنانا آخر أعظم جدا في فنه مـن ديدالوس ؟ فهو يجعلها تدور في دائرة ، وذلـك الفنان هو أنت ٠ لأن البحث كما ترى يدور الى حيث

بدأ ، ألم نقل ان المقدس أو التقي ليس هو بنفسه ما تحبه الآلهة ؟ أنسيت ؟

أوطيفرون : أذكر جيدا ٠

سقراط : ثم الا تقول الآن أن ما تحبه الآلهة مقدس ، ثم أليس ذلك نفسه ما هو عزيز لديهم ؟ هل ترى ؟

أوطيفرون : صحيح ٠

سقراط : اذا قد أخطأنا فيما قررناه سالفا ، والا فان كنا قد أصبنا فنحن مخطئون الآن ٠

أوطيفرون : أحد الاثنين صحيح بغير شك ٠

سقراط : فاذن فلنبدأ من جديد ونتساءل : ما التقوى ؟ ذلك بحث لن آمل قط من متابعته ما استطعت الى ذلك سبيلا ٠ وأتوسل اليك ألا تهزأ مني بل أن تشحذ ذهنك وتنبئني بالحقيقة لأنه ان كان بين الناس من يعلم فهو أنت ، وعلى ذلك فلا بد أن أحتجزك مثل « بروثيوس » حتى تخبرني ،فلست أشك أنك لو لم تكن تعلم علم اليقين طبيعة التقوى والفجور لما اتهمت قط أباك الشيخ نيابة عن العبد بتهمة القتل ٠ انك لو لم تكن تعلم ذلك لما استهدفت

لمثل هذا الخطر ؟ أعني ارتكاب الخطأ على مرأى من الآلهة ولاحترمت آراء الناس احتراما عظيما ٠ لذلك فأنا على يقين أنك عليم بطبيعة التقــوى والفجور ٠ أبد علمك اذن يا صديقي أوطيفرون ولا تخفه ٠

أوطيفرون : في وقت آخر يا سقراط ، لأنني عجلان ولا بد أن أذهب الآن ٠

سقراط : واأسفاه يا رفيقي ٠ وهل تخلفني في يأس ؟ لقد كنت آؤمل أنك ستعلمني طبيعة التقوى والفجور ، وعندئذ أستطيع أن أبرىء نفسي من مليتس ومن دعواه ٠ كنت سأقول له : انني استنرت بأوطيفرون ونبذت بدعي وتأملاتي الطائشة التي انغمست فيها بسبب الجهل ، وانني أوشك الآن أن أحيا حياة أفضل ٠

دفاع سقراط أثناء محاكمته :

لا يمكننا أن نجزم بأن محاورة الدفاع التــي كتبها أفلاطون صحيحة من الناحيــة التاريخية ، كوننا لا نعلم اذا كان سقراط بالفعل هو الذي قال تلك الكلمات أمام قضاته ، ولكن على الأرجح أن

أفلاطون شاء أن يدخل معلمه وأستاذه سقـراط التاريخ من بابه الواسع ليكون نبراسا تقتدي به الأجيال القادمة ، فصوره بدقة بالغة ، وجمـال رائع ، حتى ليحس المطالع شخصية سقراط في كل فقرة من فقرات الدفاع ٠

فهذا الدفاع السقراطي الرائع الدقيـق الذي جسد ما كـان يصطخب في أعمـاق سقراط مـن تفاعلات عقلانية ، يصور لنا التحدي للقضـاة ، والسخرية ، والاستخفاف بالموت ، والاستعـداد الكامل لتقبل الحكم حرصا منه على عـدم خـرق القوانين والانظمة المرعيـة ، ومـن الملاحظ أن أفلاطون الذي كان حاضرا محاكمة معلمه سقراط قد أورد في الدفاع أكثر العبارات التي استخدمها سقراط ، ولكنه صاغها بأسلوبه الرائع ، ورسم شخصية سقراط كما عرفها بغير تحوير أو تحريف ٠

وفي ضوء الواقع والحقيقة نستطيع أن نقسـم الدفاع الى ثلاثة أقسام :

الأول : الاتهام وانكار التهمة ٠

ثانيا : خطاب موجز يطلب فيه تخفيف العقوبة ٠

ثالثا : عتاب وتقريع لأعضاء المحكمة ·

ويبدأ سقراط دفاعه بطلب المعذرة من القضاة كونه يستعمل الألفاظ العامية التي لا زخرف فيها ولا تنميق ، كونه يمج البلاغة وصياغة التعابير ، ويعشق الحق والصراحة ، لذلك لن يستر شخصيته أو يتوارى وراء الكلمات المنمقة ، والخداع ، والمراوغة ·· ثم يبدأ دفاعه التاريخي فيجعل من أولئك الذين يوجهون اليه الاتهام طائفتين : أولاهما متهم لا اسم له ـ أعني الرأي العام ، فقد سمع جميعا خلال السنوات الاخيرة أنه يفسد الشباب بتعاليمه ، كما شهدوا كيف مثله أرستوفان في رواية « السحاب » تمثيلا شائنا · وأما الطائفة الثانية من المتهمين فرجال نابهون أرادوا باتهامهم اياه أن يعبروا عما يختلج في صدور سائر الناس ··· وأما التهم التي وجهها الفريقان فيمكن تلخيصها فيما يلي :

يقول الفريق الأول : « ان سقراط فاعل للشر ، وهو رجل طلعه يبحث فيما تحت الارض وما فوق السماء ، ويلبس الباطل ثوب الحق ، ثم يعلم هذا كله للناس » · وأما الفريق الثاني فيقول :

« ان سقراط فاعل للشر ويفسد الشباب ، وهو لا يعترف بالآلهة التي اعترفت بها الدولة،ويستبدل بها معبودات جديدة » ويظهر أن هذه العبارة الأخيرة كانت نص الدعوة التي توجه بها المتهمون الى القضاة .

ويبدأ سقراط في الاجابة عن هذه التهم بتوضيح بعض الجوانب الغامضة ، فقد فرض الشعراء الهازلون وظن غمار الشعب أنه يذهب في الرأي مذهب الفلاسفة الطبيعيين والسفسطائيين ولكن ذلك خطأ كله ، فهو مع احترامه لكلتا الطائفتين احتراما أعلنه صراحة أمام المحكمة (مع أنه في سائر المحاورات يسخر منهما) الا أنه ليس واحدا من هؤلاء ولا أولئك ، فهو من ناحية لا يدري شيئا عن الفلسفة الطبيعية ، لا احتقارا لأبحاثها ، ولكن الواقع أنه يجهلها فبدهي أنه لم يقل كلمة فيها ، ومن ناحية أخرى لم يكن من السفسطائيين لأنه لم يؤجر على تعليمه ، وذلك لأنه في الحقيقة لم يعلم شيئا حتى يعلمه ، وهنا يمتدح أحد السفسطائيين (افينوس) لأنه يعلم الفضيلة بأجر معقول فلا يتقاضى أكثر من خمسة دراهم ، وفي

ذلك ترى سخرية سقراط التي لم ينسها حتى وهو في موقف المحاكمة وأمام جمع غفير من السوقة ٠

ويستطرد سقراط في شرح السبب الذي دعا الناس أن يقذفوه بهذه التهمة المرذولة ، فيقول ان علة ذلك هي رسالته التي أخذ على نفسه أن يؤديها على أكمل وجوه الأداء ، فلقد ذهب « شريفون » الى دلفي وسأل الراعية ان كان بين الناس من هو أحكم من سقراط فكان جوابها أن ليس فيهم من ترجح حكمته على حكمة هذا الرجل، فليت شعري ماذا تريد الراعية بقولها : كيف تعلن الراعية أن الرجل الذي لا يدري شيئا والذي يدري تمام الدراية أنه لا يدري شيئا هو أحكم الناس ؟ فكر سقراط فيما يمكن أن يعنيه جواب الراعية فصمم أن يقيم البرهان على خطئه بأن يلتمس في الناس من هو أحكم منه فيبطل بذلك قول الراعية بطلانا حاسما ، فقصد أول ما قصد الى الساسة ثم الى الشعراء ثم الى أرباب الصناعة ، ولكن لشد ما أدهشه أن يجد هؤلاء جميعا لا يعلمون شيئا ، أو لا يكادون يعلمون شيئا أكثر مما يعلم هو ، فان امتازوا بعلمهم أحيانا أذهب الغرور حسنة امتيازهم ٠ انه لا يعلم شيئا ولكنه يعلم عن نفسه

ذلك الجهل ، أما هم فان علموا فلا يعلمون الا أقل العلم وأضأله ومع ذلك يتوهمون أنهم أحاطوا كل شيء ، لهذا كان حقيقيا بسقراط أن ينفق حياته كلها يؤدي رسالته ، وهي أن يكشف عن حقيقة ما يزعم الناس لأنفسهم من حكمة ، وهذه المحاولة قد استنفذت كل ما وسعه من جهد حتى اضطر اضطرارا ألا ينغمس في أمور الدولة العامة بل أن يهمل شؤون حياته الخاصة نفسها ، ولقد حلا لأثرياء الشبان أن يقلدوه ، فأخذوا يزجون فراغهم الطويل في امتحان أدعياء الحكمة واختبارهم ، مما كان يدعو الى العجب حقا ، فنشأت من أجل ذلك عداوة مرة في نفوس العلماء لسقراط اذ صور لهم ظنهم أنه يحرض هؤلاء الشبان ويدفعهم الى ما يصنعون دفعا ، فأرادوا أن يثأروا لأنفسهم فأطلقوا عليه هذا الاسم الخبيث ، أي مفسد الشباب ، ثم زادوا في النكاية فأخذوا يوهمون الناس أنه القائل بالآراء الطبيعية القديمة ، وأنه مادي ملحد وأنه سفسطائي المذهب ، وليس هذا الاتهام ببعيد عما يرمى به كل صاحب عقدة ورأي وفكر عقلاني عرفاني مر في طريقه الحياتي في أجواء عالم الكون والفساد ، واستحم في بحار الحقيقة .

أما التهمة الثانية ، فتنطلق من السؤال الذي يلقى على « مليتس » اذا كنت أنا المفسد فمن ذا يصلح أبناء الوطن ؟ فيرد « مليتس » بأن كل الناس مصلحون ، ولكن أي قول أكثر تناقضا من هذه العبارة ، فهل يعقل أن يسيء سقراط الى أبناء الوطن رغم أنه يعيش بين ظهرانيهم ؟ ولو فرضنا جدلا أن في قوله هذا اساءة فهي غير متعمدة ولا مقصودة ، وان كانت كذلك فما كان أحرى « مليتس » أن يرشده الى طريق الهدى بدل أن يسارع فيقدمه الى المحاكمة •

ولكن متهمي سقراط لم يقتصروا على اتهامه بافساد الشباب ، بل زعموا أنه يحث الناس على أن يكفروا بآلهة المدينة وأن يعبدوا آلهة جديدة ابتدعها هو ابتداعا ، بل يذهبون الى أنه أنكر الآلهة انكارا تاما ، وحتى الشمس والقمر ظن فيهما أنهما من صخور وتراب ، فيندهش لذلك سقراط ويبين لقضاته أن ذلك خلط واضح بين آرائه وبين ما كان يقوله « أناكسجوراس » من قبله ، فلا يمكن أن يكون الشعب الآثيني من الجهالة بحيث تجوز عليه هذه المغالطة فينسب الى سقراط ما قاله سواه •

ويختتم سقراط استجوابه لمليتس ، ويوجه عنايته الى التهمة الأساسية · فقد يسأل سائل : لماذا يصر سقراط على أداء رسالته اذا كانت تلك الرسالة تؤدي به الى الموت ؟ فيجيب سقراط بأن ذلك واجب حتم عليه ، فما ينبغي أن يتخلى عن مكانه الذي اختاره له الله ، كما لم يجز لنفسه أثناء الحروب أن يزول عن موقفه الذي اختاره له القواد ، هذا فضلا عن أنه لم يبلغ من الحكمة مبلغا يمكنه من العلم ان كان الموت خيرا أم شرا ، في حين أن تركه لواجبه شر محقق ، فكيف يقدم على شر لا شك فيه خلاصا من الموت الذي لا يدري ان كان خيرا أم شرا · كلا ! ان ذلك لا يجوز ، فلن ينثني عن أداء واجبه ، وسيؤثر لنفسه طاعة الله على طاعة الانسان ، وسيظل يعلم الناس جميعا في مختلف أعمارهم وجوب الفضيلة وضرورة الاصلاح ، فان أعرضوا عنه وأبوا أن يعيروه آذانا مصغية فسيعمد الى تأنيبهم ولومهم · ذلك هو افساده للشباب الذي لن يتردد في فعله صدوعا بأمر الله ، وان تهدده في هذه السبيل ألف موت لا موت واحد ·

ان سقراط حين يرغب الى المحكمة أن تخلصه من عقوبة الموت لا يفعل ذلك من أجل نفسه ولكن من

أجل قومه ، لأنه مرشدهم الذي أوفدته السماء لتقويم اعوجاجهم ، ومن يدري ؟ لعلهم ان أماتوه لا يوفقون الى خلف له يقوم لهم بما كان يقوم به ، وهنا قد يتصدى أحد المعترضين زاعما ان كان سقراط بحق يهدف الى صالح قومه فلماذا لم يحاول أبدا أن يساهم في الشؤون العامة بنصيب ؟ فيجيب سقراط بأنه ان فعل ذلك وحارب من أجل الحق لما قدر له أن يمتد أجله فيفعل ما فعل من خير • هذا الى أنه قد خاطر فعلا بحياته مرتين بأن اشترك في شؤون الدولة من أجل العدالة : الأولى في محاكمة القواد ، والثانية في مقاومة استبداد حكومة الطغاة الثلاثين •

ولكنه ان لم يقم بقسط وافر من شؤون الدولة فقد أنفق أيامه في تعليم مواطنيه تعليما لم يؤجر عليه • تلك كانت رسالته فسواء انقلب تلاميذه أخيارا أم أشرارا فليس من العدل في شيء أن يتهم بجريرتهم ، لأنه لم يعدهم قط بأن يعلمهم شيئا فكان لهم أن يقبلوا عليه ان شاءوا وأن ينفضوا من حوله ان أرادوا ، ولكنهم أرادوا لأنفسهم أن يلتفوا حوله لأنهم أحسوا لذة عظيمة في الاستماع الى أدعياء الحكمة يمتحنون فيفتضح أمرهم • فلو

كان سقراط قد أفسد هؤلاء الشبان لقضى الواجب على ذويهم من الشيوخ ـ ان لم يكن واجبهم هم ـ أن يتقدموا الى المحكمة بالشهادة ضده ، وهنا يقول سقراط في شيء من التحدي ان الفرصة لا تزال سانحة لكائن من كان منهم أن يتقدم الى القضاة بشهادته ، ولكن العجب أن آباء أولئك الشبان وأقرباءهم جاءوا الى المحكمة ليبرئوا ساحة سقراط من تهمة الافساد • واذن فهؤلاء جميعا السنة ناطقة بأن سقراط انما يقول الحق ، واذن مليتس مفتر كذاب •

ذلك كل ما أراد أن يقوله سقراط تقريبا ، وهو بعد هذا الخطاب يرفض أن يطلب رحمة القضاة ليطلقوا سراحه ، كما يرفض أن يأتي بأطفاله باكين ليؤثروا في قلوب القضاة ببكائهم ، فتلك كانت عادة الاثينيين اذا حكم على أحدهم ، بل ان سقراط ليتهم القضاة أنفسهم أنهم لم يكونوا يتعففون عن مثل هذا في ظرف كظرفه ذاك ، ولكنه يقرر أنه على ثقة بأن القضاة لن يغضبوا ان لم يلجأ سقراط الى ما تواضع الاثينيون أن يلجأوا اليه فرارا من العقاب ، لأنه على يقين أن ذلك السلوك مجلبة للعار لأثينا بأسرها ، ويضيف سقراط الى هذا

أن القضاة قد أقسموا ألايتها ونوافي تطبيق العدالة، فكيف اذن يبيح لنفسه أن يسترحمهم لكي يحملهم على الحنث في أيمانهم ، انه لو فعل لعد ذلك فجورا منه في الوقت الذي يقف متهما بالفجور ٠

وصدر الحكم بادانته كما توقع ، فترى سقراط بعد هذه الادانة لا يرق ولا يضعف ولا يلين ، بل انه على النقيض ليسمو ويرتفع شامخا الى العلاء بكبرياء وكرامة ٠ ان « أنيتس » قد اقترح أن تنزل بالجاني عقوبة الاعدام ، فماذا يقترح سقراط من جانبه ؟ ويجيب سقراط بأنه قد كان محسنا للشعب الآثيني ، فأنفق حياته كلها في تقديم الخير له ، ولذا فهو يرى نفسه جديرا على الأقل بمثل ما يجزى به الظافرون في الالعاب الأولمبية ، أعني أن يعيش على حساب الدولة ، فليس من الحكمة أن يقترح لنفسه عقوبة أخرى ، لأنه لا يدري ان كان الموت الذي اقترحه « أنيتس » خيرا أم شرا ، وماذا عساه يقترح ؟ أيقترح السجن أو النفي ، وكلاهما شر محقق ، نعم قد لا تكون خسارة المال شرا ، ولو كان يملك من المال شيئا لاقترح أن يقضى عليه بغرامة مالية ، وهنا يتعهد أصدقاؤه أن يدفعوا له الغرم ان قضى به ٠

يقول سقراط لقضاته بعد أن أخبروا فيه حكم الاعدام ، انه قد اكتهل ، وان الأثينيين لن يفيدوا شيئا حين يسلبوه السنوات القلائل الباقية له من حياته ، ولكنهم سيجلبون على أنفسهم العار بقتله ، وقد كان يستطيع أن يلجأ الى الفرار من أثينا ، ولكن فيم الفرار وهو لا يرجو اطالة الحياة ؟ بل انه ليؤثر أن يموت كما يشتهي ، فذلك خير من أن يعيش كما يريد له الناس أن يعيش ، نعم انه قضى عليه بالموت ، ولكن هذا القضاء بغير شك دنس قضاته بخطيئة الزيغ والفجور ، وانهم في ذلك لأفدح منه مصابا ، لأن الفجور أسرع لحاقا بصاحبه من الموت ، فان كان هو سيلقى عقوبته بعد حين ، فقد لقي متهموه عقابهم بالفعل ٠

أما وهو الآن على وشك الموت ، فانه يتنبأ لهم بنبوءة ، انهم يحكمون عليه بالموت ليتخلصوا ممن ينغص عليهم العيش ، ولكن موته سيكون نواة تنتج عددا وفيرا من الاتباع الذين قد يكونون في محاسبتهم أشد منه عنفا وقسوة ، لأنهم أصغر منه سنا ، وأكثر جرأة ٠

وما دامت أمامه فسحة من الوقت ، فانه يود أن

يقول كلمة قصيرة لهؤلاء الذين حاولوا أن يبرئوه، فهو ينبئهم أن شارته الالهيـة لم تعترضه قط في دفاعه ، ولعل معنى ذلك أن الموت الذي يقبل عليه خير لا شر فيه ، وذلك لأن الموت اما أن يكون نوما طويلا ، وبذلك يكون أحلى ضروب النعاس ، واما أن يكون سياحة الى العالم الآخر حيث تحتشد أرواح الموتى في صعيد واحد وعندئذ تسنح له الفرصة الجميلة بأن يلتقي بفحول الابطال الذين تولـوا قبله ، وما يحبب في تلك الحياة أنها خالدة ، فلن يكون ثمة موت يجزع منه الناس فيكتمون آراءهم في نفوسهم .

انه يستحيل أن يصيب الرجل الطيب شر لا في حياته ولا بعد مماته ، ولقد رضيت الآلهة لسقراط أن يرحل ، فهو اذن يعفو عن قضاته لأنهم لم يؤذوه بقضائهم فيه ، بل هم على عكس ذلك ساقوه الى الخير ، وان يكن خيرا لم يقصدوا اليه قط .

ويعقب سقراط على هذا القول بطلب أخير : فهو يرجو الناس أن يرهقوا أبناءه من بعده ، كما أرهقهم هو ، وذلك ان بدا منهم أنهم يؤثرون المال

على الفضيلة ، أو اعتقدوا في أنفسهم العلم وهم جاهلون ٠

الدفاع السقراطي :

لست أدري أيها الأثينيون كيف أثر متهمي في نفوسكم ، أما أنا فقد أحسست لكلماتهم الخلابة أثرا قويا أنسيت معه نفسي ، وانهم لم يقولوا من الحق شيئا ، ولشد ما دهشت اذ ساقوا في غمر باطلهم نذيرا لكم أن تكونوا على حذر ، فلا تخدعكم قوة فصاحتي ، اني اذا نبست ببنت شفة نهضت لكم دليلا على عي لساني وافتضح أمرهم ، وانهم بذلك عالمون ، ولكنهم يمارون ولا يخجلون ، أم تراهم يطلقون الفصاحة على قوة الحق ؟ اذن لأشهدت أني مصقع بليغ ٠٠ ألاما أبعد الفرق بيني وبينهم ! فهم كما أنبأتكم لم ينطقوا كلمة صدق ، أما أنا فخذوا الحق مني صراحا ، ولن أصوغها عبارة خطابية منمقة كما فعلوا ، لا والله بل سأسوق الحديث والأدلة اليكم عفو ساعتها ، لأني على يقين من عدالة قضيتي ، فلن أقف يوما بينكم أيها الأثينيون موقف الخطيب الصبياني ما دمت حيا ، فلا يرجن الآن أحد مني خطابا ، ولعلي أظفر

منكم بهذا الفضل : اذا دافعت عن نفسي بأسلوبي المعهود ، فجاءت في دفاعي كلمات قلتها من قبل ، وسمعها بعضكم في الطريق أو عند موائد الصيارفة أو في أي مكان آخر ، فلا تدهشوا ولا تقاطعــوا الحديث ، لأنني أقف ـ وقد نيفت على السبعين عاما ـ للمرة الأولى في ساحة القانون ، فلم آلف لغة هذا المكان ، فانظروا الي نظركم الى الغريــب تلتمس له المعذرة لو جرى لسانه بلغة قومه ولهجة وطنه ، وما أحسبني بذلك أطلب شططا ، فدعكم من عبارتي التي قد تكون حسنة وقد لا تكون ، وانظروا في صدق العبارة وحده ، واذا حكم منكم قاض فليحكم بالعدل ، واذا نطق متكلم فلينطـق بالحق .

ولأبدأ أولا برد التهم القديمة والطائفة الأولى من المدعين ، ثم استطرد الى دعوى الفريق الثاني ، فلقد أتهمني من قبل نفر كثير ، ولبثت دعواهم الباطلة تتردد أعواما طوالا ، واني لأخشاهم أكثر من هذا الرجل (أنيتس) وعصبته ، وان كيدهم لعظيم ، ولكن أولئك الذين نهضوا اذ كنتم أطفالا فملكوا ألبابكم بأباطيلهم لأشد من هؤلاء خطرا ، فهم يحدثونكم عمن يسمى سقراط أنه حكيم يسبح

بفكره في السماء ، ثم يهوي به الى الغبراء ، وأنه يخلع على الباطل رداء الحق ، أولئك هم من أخشى من الاعداء ، فقد أذاعوا في الناس هذا الحديث ، وما أسرع ما يظن الدهماء أن هذا الضرب من المفكرين كافر بالآلهة . كثيرون هم أولئك المدعون ، ودعواهم قديمة العهد ، نشروها حين كنتم في سن الطفولة أو الشباب ألين انطباعا ، ولم يكادوا ينطقون بالدعوى حتى انطلقت تحمل عني في ذيلها السوء دون أن تجد لها مفندا ، وأهول من ذلك كله أن لبثت أسماؤهم مجهولة لا أعلمها لولا ذلك الشاعر الهازل الذي ساقته الظروف ، وانه لمن العسير أن أتحدث الى أشخاص هؤلاء الهجائين الذين نفذوا الى نفوسكم بما يحملون من ضغينة وحقد ، صدر فيها بعضهم عن عقيدة ، ثم ألقوا بذورها في قلوب الآخرين ، فلا أستطيع أن أدعوهم الى هذا المكان لأستجيبهم ، فأنا ان دافعت الآن فانما أدافع أشباحا ، وأستجيب حيث لا مجيب ، واني لأرجو أن تقبلوا ما فرضته لكم من قبل بأن الأعداء صنفان : فطائفة حديثة العهد وأخرى قديمته ، وأحسبكم ترون صواب رأيي في أن أبدأ بالرد على هذه الطائفة الأخيرة ، فدعواها أقدم عهدا وأكثر ترددا .

وبعد فهاكم دفاعي ، ولعلي أستطيع في هــذه البرهة القصيرة التي تفضلتم بها على أن أمحــو شائعة السوء التي قرت عني في أذهانكم طوال هذا الزمن ، وعسى أن أصيب توفيقا ان كان في التوفيق خير لي ولكم ، اذ كان في الارجح ينفعني في قضيتي، فأنا عليم أني مقدم على أمر عسير ، واني لأقدر مهمتي حق قدرها ، فليقض الله بما يريد ، وهأنذا أبدأ دفاعي طوعا للقانون •

واستهل الحديث بهذا السؤال : أي ذنب جنيت حتى حامت حولي الشبهــات ، فاجترأ مليتس أن يرفع أمري للقضاء ؟ ماذا يقول عني دعاة السوء ؟ انهم بمثابة المدعين وهاكم خلاصة ما يدعون : قد أساء سقراط صنعا ، وهو طلعة يصعد البصر الى السماء وما تحتوي ، ثم ينفذ به تحت أطباق الثرى، وهو يلبس الباطل ثوب الحق ، ثم انه يبث تعاليمه هذه في الناس ، تلك هي جريرتي ، وقد شهدتم بأنفسكم في ملهاة أرستوفان كيف اصطنع شخصا أسماه سقراط جعله يجول قائلا انه يستطيع أن يسير في الهواء ، وأخذ يلغو في موضوعات لا أزعم أني أعرف عنها كثيرا ولا قليلا ـ لست أقصد بهذا أن أسيء الى أحد من طلاب الفلسفة الطبيعية ـ

فأشد ما يسؤوني أن يتهمني مليتس بمثل هـذا الاتهام الخطير • أيها الأثينيون ! الحق الصراح أني لا أتصل بتلك الدراسة الطبيعية بسبب من الأسباب ، ويشهد بصدق قولي كثير من الحضور ، فاليهم أحتكم • انطلقوا اذن يا من سمعتم حديثي وأنبئوا عني جيرانكم ، هل تحدثت في مثل هذه الأبحاث كثيرا أو قليلا ؟ أنصتوا الى جوابهم لتقطعوا في سائر الاتهام بصدقي مما يقررون في هذا الجزء •

أما القول بأني معلم أتقاضى عن التعليم أجرا فباطل ليس فيه من الحق أكثر مما في سابقه ، على أنني أمجد المعلم المأجور ان كان معلما قديرا على تعليم البشر ، فهؤلاء جورجياس الليونتي ، وبروديكوس الكيوسي ، وهبياس الأليزي ، يطوفون بالمدن يحملون الشباب على ترك بني وطنهم الذين يعلمونهم ابتغاء وجه الله ليسعوا اليهم ، فلا يؤجرونهم وكفى ، بل يحمدون لهم ذلك الفضل العظيم ، ولقد أتاني نبأ فيلسوف من بارا يقيم في أثينا ، حدثني عنه رجل صادفته ، قد بذل للسوفسطائيين مالا طائلا ، هو كالياس بن هيونيكوس • ولما أنبأني أن له ابنين سألته : لو كان ابناك يا لكلياس جوادين أو بقرتين لما شق عليك أن تجد لهما مدربا ،

فما أهون أن تستخدم مـدرب الخيول أو فلاحـا يقومهما ويبلغ بهما حد الكمال في حدود ما يعدانه فضلا ونبوغا ، ولكنهما انسانان من البشر ، فمن ذا فكرت أن يكون لهما مؤدبا ؟ أثمة من يـدرك فضيلة الانسان وسياسة البشر ، حدثني فلا بد أن تكون قد تدبرت الامر ما دمت والدا • فأجاب : نعم وجدت • فسألته : من هو ذا وأين موطنه وكم يؤجر ، فأجاب : هو أفينس الباري وأجره خمسة دراهم • فقلت في نفسي : أنعم بك يا أفينس ان كنت تملك هذه الحكمة حقا ، وتعلمها بمثل هـذا الأجر الضئيل ، فلو كانت لدي لزهيت وأخذنـي الغرور ، ولكني بحق لا أعلم من تلك الحكمـة شيئا •

أيها الأثينيون ! رب سائل منكم يقول : وكيف شاعت عنك تلك التهمة يا سقراط ان لم تكن قد أتيت أمرا ادا ، فلو كنت كسائر الناس لما ذاع لك صوت ولا دار عنك حديث • أنبئنا بعلة هـذا اذ يؤلمنا أن نسارع بالحكم في قضيتك ، واني لأحسب هذا تحديا رقيقا ، وسأحاول أن أوضح لكم لـم دعيت بالحكيم ، ومن أين جاءتني الأحدوثة السيئة، فأرجو أن تنصتوا لقولي • ولو أن بعضكم سيظن

بي الهزل ، ولكني أعترف أنني لن أقول الا الحق خالصا • أيها الأثينيون ! ان لدي ضربا معينا من ضروب الحكمة كان مصدر ما شاع من أمري ، فان سألتموني عن هذه الحكمة ما هي ؟ أجبت أنها في مقدور البشر ، والى هذا الحد فأنا حكيم •

أما أولئك الذين كنت أتحدث عنهم فحكمتهم معجزة فوق مستوى البشر ، لا أستطيع أن أصفها لأنني لا أملكها ، ومن ظن أنها لدي قد ظن باطلا ، وكان أشد ما يكون بعدا عن حقيقتي • أيها الأثينيون ! أرجو ألا تقاطعوني ولو بالغت في القول فلست قائل هذا الذي أرويه لكم ، ولكني سأنيب عني شاهدا جديرا بالثقة ، ليحدثكم عن حكمتي ـ فسينبئكم هل أملك من الحكمة شيئا ؟ وان كنت أملك فما نوعها ـ وأعني بذلك الشاهد اله دلفي • انكم ولا ريب تعرفون (شريفون) فهو صديقي منذ عهد الصبا ، وهو صديقكم مذ ظاهركم على نفي من نفيتم ثم عاد أدراجه معكم • كان شريفون كما تعلمون صادق الشعور في كل ما يعمل ، فقد ذهب الى معبد دلفي وسأل الراعية في جرأة لتنبئه ـ وأعود فأرجو ألا تقاطعوني ـ سأل الراعية لتنبئه ان كان هناك من هو أحكم مني ، فأجابت البنية أن ليس بين

الرجال من يفضلني بحكمته • لقد مات شريفون ، ولكن أخاه ، وهو في المحكمة بيننا ، يؤيد صدق ما أروي •

وفيم أسوق اليكم هذا الخبر ؟ ذلك لأنني أريد أن أتقصى لكم علة ما ذاع عني من سوء الذكر ، لما أتاني جواب الراعية ، قلت في نفسي : ماذا يعني الاله بهذا ؟ انه لغز لم أفهم له معنى ، أنا عليم أن ليس لدي من الحكمة كثير ولا قليل ، فماذا عساه يقصد بقوله انني أحكم الناس ؟ ومع ذلك فهو الـه يستحيل عليه الكذب ، لأن الكذب لا يستقيم مع طبيعته • ففكرت وأمعنت في التفكير ، حتى انتهيت آخر الأمر الى طريقة أحقق بها القول ، اعتزمت أن أبحث عمن يكون أحكم مني ، فان صادفته ، أخذت سمتي نحو الاله لأرد عليه ما زعم ، فأقول له : هاك رجلا أكبر مني حكمة ، وقد زعمت أنني أحكم الناس •

لهذا قصدت الى رجل من الساسة ـ ولا حاجة الى ذكر اسمه ـ فقد عرف بحكمته ، وامتحنته فانتهيت الى النتيجة الآتية : لم أكد أبدأ معه الحديث حتى قرت في نفسي عقيدة بأنه لم يكن

حكيما حقا ، على الرغم من شهادة الكثيرين له بالحكمة ، وعلى الرغم مما ظنه هو نفسه في حكمته، وقد جاوز به الغرور شهادة الشاهدين ، فحاولت أن أقنعه بأنه وان يكن قد ظن في نفسه الحكمة الا أنه لم يكن بالحكيم الحق ، فادى به ذلك الى الغضب مني ، وشاطره في غضبه كثيرون ممن شهدوا الحوار وسمعوا الحديث ، فغادرته قائلا في نفسي : اني وان كنت أعلم أن كلينا لا يدري شيئا عن الخير والجمال • فانني أفضل منه حالا ، لأنه يدعي العلم وهو لا يعلم شيئا • وأما أنا فلا أدري ولا أزعم أنني أدري ــ ولعلي بهذا أفضله قليلا • ثم قصدت الى آخر ، وكان أعرض من سابقه دعوى في الفلسفة، فانتهيت معه الى النتيجة نفسها ، وعاداني هو الآخر ، وأيده في موقفه عدد كبير •

أخذت ألتمس الناس رجلا فرجلا وأنا عالم بما أثيره في الناس من غضب كنت آسف له وأخشاه ، ولكنها ضرورة لم يكن عن المضي فيها محيص • انها كلمة الله ، ويجب أن أحلها من اعتباري المكان الأسمى ، فقلت لنفسي : لا بد أن أحاور أدعياء العلم جميعا لعلي أفهم ما قصدت اليه الراعية • وأقسم لكم أيها الأثينيون أغلظ القسم ــ فواجبي

أن أقول الحق ـ انني قد انتهيت من البحث الى ما رويت ، اذ وجدت أن أشهر الناس أكثرهم غباء ، وقد صادفت فيمن هم دون هؤلاء مقاما رجالا بلغوا من الحكمة ما لم يبلغه هؤلاء · وسأقص عليكم حديث تجوالي وما عانيت خلاله لتحقيق ما قالته الراعية · تركت رجال السياسة وقصدت الى الشعراء ، سواء في ذلك شعراء المأساة أو الأغاني الحماسية أو ما شئتم من صنوف الشعر ، وقلت في نفسي : ان الامر لا ريب مكشوف لدى الشعراء فسأجدني بازائهم أشد جهلا · ثم جمعت طائفة مختارة من أروع ما سطرت أقلامهم ، وحملتها اليهم أستفسرهم اياها لعلي أفيد عندهم شيئا · أفأنتم مصدقون ما أقول ؟ واخجلتاه ! أكاد أستحي من القول لولا أني مضطر اليه ، فليس بينكم من لا يستطيع أن يقول في شعرهم أكثر مما قالوا هم وهم ناظموه ، عندئذ أدركت على الفور أن الشعراء لا يصدرون في الشعر عن حكمه ، ولكنه ضرب من النبوغ والالهام · انهم كالقديسين أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات وهم لا يفقهون معناها · هكذا رأيت الشعراء ، ورأيت فوق ذلك أنهم يعتقدون في أنفسهم الحكمة فيما لا يملكون

فيه من الحكمة شيئا استنادا الى شاعريتهم القوية ٠ فخلفت الشعراء وقد علمت أني أرفع منهم مقاما ، فقد فضلني عليهم ما فضلني على رجال السياسة ٠

وأخيرا قصدت الى الصناع ، وكنت أظنني جاهلا بما يتصل بالصناعة من علم ، وكنت أحسب أن لدى هؤلاء الصناع مجموعة طريفة من المعارف ، وقد ألفيتني مصيبا فيما ظننت ، اذ كانوا يعلمون كثيرا مما كنت أجهله ، فكانوا في ذلك أحكم مني بلا ريب٠ ولكني رأيت حتى مهرة الصناع قد ترددوا فيما تردى به الشعراء من خطأ ، فتوهموا أنهم ما داموا أكفاء في صناعتهم فلا بد أن يكونوا ملمين بكل ضروب المعرفة السامية ، فذهبت سيئة الغرور بحسنة الحكمة ٠ لهذا سألت نفسي بالنيابة عن الراعية : أكنت أحب أن أظل كما أنا ، لا أملك ما يملكون من علم ، ولا أكبوا فيما كبوا فيه من خطأ ، أم كنت أحب أن أكون شبيههم في العلم والجهل على السواء ؟ فأجببت نفسي ، وأجببت الراعية : انني خير منهم حالا ٠

وهذا الذي انتهيت اليه قد حرك العداوة في قلوب نفر من أشد الناس سوءا وخطرا ، كما نسج

حولي طائفة من الدعاوى الباطلة · ولقـد جرى الناس على تسميتي بالحكيم اذ خيل اليهم أنني ما فتئت أحمل الحكمة التي كانت تعوزهم · ولكـن الله ـ أيها الأثينيون ـ هو الحكيم الأوحد ، ولعل الله أراد بجوابه أن الحكمة في البشر ضئيلـة أو معدومة · انه لم يتحدث قصدا عن سقراط ، انما ضرب باسمي مثلا ، كأنما أراد أن يقول ان مـن يدرك كما أدرك سقراط أن حكمته في حقيقة الامر لا تساوي شيئا ، يكون أحكم الناس · فأنا كمـا تروتني أسير وفقا لما يرسمه لي الله ، أفتش عن الحكمة في كل من يدعيها ، لا أبالي أكان من أبناء الوطن أو غريبا ، فان لم أجده كما أدعي ، صارحته بجهله كما أمرتني الراعية · ولقد انصرفت الى هذا الواجب انصرافا لم يبق لي معه من الوقت ما أبذله فيما يشغل بال العامة ، أو أنفقه في شؤوني الخاصة ، وهكذا كرست حياتي لله فمشـت فقيرا معدما ·

أما الشبان الأثرياء الذين لا تضنيهم شواغـل الحياة كثيرا قد التفوا حولي ، فهم قد جاءوا يسعون من تلقاء أنفسهم ليشهدوا امتحان الأدعياء ،وكثيرا ما انطلقوا بدورهم يلتمسون أدعياء الحكمة ليجربوا

عليهم التجربة نفسها • وما أكثر ما صادفوا رجالا ظنوا في أنفسهم العلم ، فاذا بهم لا يعلمون الا قليلا ، أو هم لا يعلمون شيئا ، فلا يلبث هؤلاء الذين امتحنهم الشبان أن يصبوا على جام غضبهم ، وأنفسهم أحق بهذا الغضب ، ويستنزلون اللعنة على سقراط لأنه أفسد الشبان • فان سألهم سائل فيم هذه اللعنة ، وأي جريرة أتى ، وأي رذيلة علم ، لما حاروا جوابا لأنهم لا يعرفون لغضبهم سببا • ولكي يستروا علائم الحيرة تراهم يعيدون التهم المعروفة التي قذف بها الفلاسفة جميعا ، من أنهم يعلمون ما يتصل بالسحاب ، وما هو دفين تحت الثرى ، وأنهم كافرون بالآلهة ، وأنهم يلبسون الباطل صورة الحق ، والحقيقة أنهم جاهلون ويأبون الاعتراف بجهلهم المكشوف •

ولما كانت تلك الفئة كثيرة طامعة نشيطة ، وقد تصدوا جميعا للنزال بما لهم من ألسنة حداد تلعب بالنفوس ، فقد ملأوا أسماعكم بهذا الاتهام الباطل • وكان أن ناصبني العداء هؤلاء المدعون الثلاثة : مليتس ، وأنيتس ، وليقون • فقد ناهضني مليتس ليمثل جماعة الشعراء ، وأنيتس ليمثل طبقة الصناع والسياسيين ، وليقون ليمثل الخطباء •

وانني كما قدمت لا أمل في أن أمحو في لحظة كل ما علق بي من تهم باطلة • أيها الأثينيون ! لقد رويت لكم الحق كل الحق ، لم أخف شيئا ، ولم أشوه شيئا ، ومع هذا فأنا أعلم أن صراحتي في الحديث ستصدكم عني ، وما هذا الصد الا برهان على أني أقول الحق • تلك هي دعواهم وذاك منشؤها ، ولن تسفر هذه المحاكمة ولا أية محاكمة مقبلة عن غير هذا •

حسبي هذا دفاعا للفريق الأول من المدعين • وهأنذا أتوجه الآن بالحديث نحو الطائفة الأخرى وعلى رأسهم مليتس ، ذلك الرجل الطيب ،الوطني، كما يقول عن نفسه •

وساحاول أن أدفع عن نفسي ما اتهمني به هذا الفريق الجديد • وجدير بنا أن نبدأ بتلخيص دعواهم ، فماذا يزعمون ؟ انهم يقولون:ان سقراط فاعل للرذيلة ، مفسد للشباب ، كافر بآلهة الدولة ، وله معبودات اصطنعها لنفسه خاصة •

تلك هي دعواهم ، وسبيلنا الآن أن نناقشها تفصيلا • أما الزعم بأني فاعل للرذيلة مفسد

للشباب ، فأنا أقرر أيها الأثينيون عن هذا الرجل مليتس ، أنه هو صاحب رذيلة • ورذيلته أنه يتفكه حيث يجب الجد ، وهو لا يرى غضاضة في أن يسوق الناس الى ساحة القضاء متسترا وراء الحماسة المصطنعة والاهتمام المتكلف بأمور لا تعنيه في شيء ، وسأقيم لكم الدليل على صدق هذا •

اقترب مني يا مليتس لألقي عليك سؤالا ، هل تفكر طويلا في اصلاح الشباب ؟

ـ نعم اني أفعل •

ـ اذن فقل للقضاة من هو مصلح الشباب ، فأنت لا بد عالم به ما دمت قد عانيت آلاما في اكتشاف مفسدهم ، فها أنت ذا قد سقتني الى القضاء متهما• تكلم اذن وقل للقضاة من هو مصلح الشبان • ما لي أراك يا مليتس لا تحير جوابا ؟! أفليس هذا دليلا قاطعا ، مزريا بك ، يؤيد ما ذكرته من أن أمر الشبان لا يعنيك في شيء ، تكلم يا صديقي وحدثنا عن مقوم الشباب !

ـ هي القوانين •

ـ ولكن ليست القوانين هي ما عنيت يا سيدي ،

انما أردت أن أعرف ذلك الشخص الذي يحفظ القوانين قبل كل شيء ٠

ـ هم من ترى في المحكمة من قضاة يا سقراط ٠

ـ ماذا تريد أن تقول يا مليتس ، أتعني أن القضاة قادرون على تعليم الشبان واصلاحهم ؟

ـ لست أشك في أنهم كذلك ٠

ـ أكلهم كذلك ، أم بعضهم دون بعض ؟

ـ القضاة جميعا ٠

ـ قسما بالآلهة ان هذا الخبر سار ، اذن فهناك طائفة من المصلحين ، وماذا نقول في النظارة ؟ أهم يصلحون الشبان ؟

ـ نعم هم يفعلون ٠

ـ وأعضاء الشورى كذلك ؟

ـ نعم انهم كذلك يصلحون ٠

ـ ولكن قد يكون رجال الدين لهم مفسدين ؟ أم هم كذلك يقومون الشباب ؟

ـ انهم كذلك من المصلحين ٠

ـ اذن فكل الأثينيين يعلمون الشباب ويرفعون من قدرهم ، ما عداي ٠ فأنا وحدي الذي أفسدت الشباب ٠ أهذا ما أردت أن تقول ؟

ـ وذلك ما أؤيده بكل قوتي ٠

ـ يا لبؤسي اذن ان صح ما تقول ! ولكني أريد أن أسألك سؤالا : أيصح هذا القول كذلك على الجياد ؟ أيمكن أن يقدم لها الأذى فرد واحد ، بينا يقدم لها الخير العالم أجمع ؟ ألست ترى أن المكس هو الصحيح ؟ فرجل واحد يستطيع أن يعمل لها الخير ، أو قل هي فئة قليلة ، وأعني أن مروض الجياد هو الذي يقدم لها الخير ، أما بقية الناس الذين يستخدمونها في عملهم فهم لها مسيئون • أليس هذا صحيحا يا مليتس بالنسبة الى الجياد وكل أنواع الحيوان ؟ نعم ولا ريب ، سواء رضيت أنت وأنيتس أم لم ترضيا ، فذلك لا يعنينا • اللهم أنعم بحياة الشبان لو كان عليهم مفسد واحد فحسب ، وكانت بقية العالم لهم مصلحين • وأنت يا مليتس ، لقد أقمت لنا الدليل ناصعا على أنك لم تكن تفكر في الشبان ، فاهمالك اياهم واضح حتى فيما ذكرت في صحيفة الدعوى •

والآن يا مليتس ، لا بد أن أسألك سؤالا آخر : أيهما خير ، أن يكون أبناء وطنك الذين تعيش بينهم فاسدين أم صالحين ؟ أجب يا صاح فذاك سؤال ميسور الجواب ! ألا يقدم الصالحون الخير لجيرانهم بينا يسيء اليهم الفاسدون ؟

ـ نعم ولا ريب ٠

ـ وهل هناك انسان يفضل أن يساء اليه على أن يحسن إليه ممن يعيش بينهم ؟ أجب يا صديقي ، فالقانون يتطلب منك الجواب ٠ أيجب أحد أن يصيبه الضر ؟

ـ كلا ولا ريب ٠

ـ وأنت حين تتهمني بافساد الشباب والحط من شأنهم أتزعم أني أتعمد ذلك الافساد أم يجيء عني عفوا ؟

ـ أنا أزعم أنه افساد مقصود ٠

ـ ولكنك اعترفت الآن أن الرجل الصالح يقدم الخير لجيرانه ، وأن الفاسد يقدم لهم الشر ، أفتظن أن هذه الحقيقة قد أدركتها حكمتك البالغة وأنت لا تزال من الحياة في هذه السن الباكرة ، وأنا ، وقد بلغت من الكبر عتيا ، ما زلت أخبط في ظلام الجهل فلا أعلم أني أفسدت أولئك الذين أعيش بينهم فيغلب أن يصيبني منهم ضرر ؟ أفأكون عالما بهذا ومع ذلك أفسدهم ، وأفسدهم متعمدا ؟ هذا ما تقوله أنت ، فلا أحسبك مقنعني به ، ولا مقنعا به كائنا من كان ٠ احدى اثنتين : اما أنني لا أفسد

الشبان ، أو أنني أفسدهم عن غير عمد ، وسواء أصحت هذه أم تلك فأنت كاذب في كلتا الحالتين ٠

فان كانت جريمتي بغير عمد فلا يحاسب عليها القانون ، وكان خليقا بك أن تسدي لي النصح خالصا ، محذرا ومؤمنا في رفق ولين ، فان انتصحت بك ، أقلعت ولا ريب عما كنت آتيه بغير قصد ، ولكنك أبيت لي نصحا وتعلما ، وآثرت أن تجيء بي متهما في ساحة القضاء ، وهي محل العقاب لا مكان التعليم ٠

لقد تبين لكم أيها الأثينيون أنه لا يعنيه أمر الشبان في كثير ولا قليل ، ولكني ما زلت أود يا مليتس أن أعرف منك فيم كان اصراري على افساد الشباب ؟ لعلك تعني كما يبدو من اتهامك انــي حملتهم على انكار الآلهة التي اعترفت بها الدولة ، ليقدسوا في مكانهــا معبودات جديــدة أو قــوى روحانية ٠ أليست هذه هي الدروس التي زعمت أني أفسدت بها الشباب ؟

ــ نعم هذا ما أقوله وأؤكده ٠

ــ اذن فقل لي يــا مليتس ، وقــل للمحكمة في

عبارة واضحة ، أي آلهة أردت في دعواك ، لأنني حتى الساعة لا أفهم ما تأخذه علي • أكنت أعلم الناس الايمان بآلهة معينة ؟ وان كان هـذا فهم مؤمنون بآلهة ما ، ولم أكن اذن كافرا تمام الكفران. انك لم تشر الى ذلك في الدعوى واكتفيت بالقول انها ليست نفس الآلهة التي تعترف بها المدينة ، ما تهمتي ؟ أهي الدعوة الى آلهة مخالفة أم تزعم أني ملحد ومعلم للالحاد ؟

ـ أردت الأخيرة ، فأنت ملحد غاية الالحاد •

ـ هذا قول عجيب لم نعهده يا مليتس ، ماذا تعني به ؟ ألست أؤمن بالهي الشمس والقمر ، وهي عقيدة سائدة بين الناس جميعا !

ـ اني أؤكد لكم أيها القضاة أنه لا يؤمن بهما ، فهو يقول ان الشمس كتلة من الحجر ، وان القمر مصنوع من تراب !

ـ لعلك يا صديقي مليتس تريد أنا كسجوراس بهذا الاتهام ، ويظهر أنك تسيء الظن بالقضاة ، فتحسبهم بلغوا من الجهالة حدا لا يعرفون معه أن تلك آراء مسطورة في كتب أنا كسجوراس

الكلازوميني ، وهي مليئة بمثلها ، وتلك التعاليم هي التي يقال ان سقراط قد أوحى بها الى الشبان، والواقع أنهم عرفوها من المسرح الذي كثيرا ما يعرضها ، وأجر المسرح لا يزيد على دراخمة واحدة ، ففي مقدور الناس جميعا أن يشهدوها بهذا الأجر الزهيد ، ثم يهزأون من سقراط كلما نسب الى نفسه تلك الأعاجيب ، ولكن حدثني يا ميلتس ، افتظن حقا أني لا أؤمن باله ما ؟

– أقسم بزيوس أنك لا تؤمن بكائن من كان ٠

– أنت كاذب يا مليتس ، ولا تستطيع أنت نفسك أن تصدق هذا القول ، ولست أشك أيها الأثينيون في أن مليتس هذا مستهتر وقح ، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والغرور ، ألم يبتكر هذه الألعوبة ابتكارا ليقدمني بها الى المحاكمة ؟ كأنما قال لنفسه : سأرى هل يستطيع هذا الحكيم سقراط أن يكشف عن هذا التناقض المحبوك ، أم أني خادعه كما سأخدع بقية الناس ؟ فهو كما أرى يناقض نفسه بنفسه في الدعوى ، فكأنه يقول : قد أجرم سقراط لأنه كافر بالآلهة ، ولأنه مؤمن بهم ، وتلك مهزلة ولا ريب ٠

أيها الأثينيون !انه متناقض ولا تستقيم روايته، وأحب أن نتعاون جميعا على تحقيقها ، وعليك يا مليتس أن تجيب ـ وأعيد الرجاء ألا تقاطعوني اذا تكلمت بأسلوبي المعهود ـ • يا مليتس ! هل جاز لانسان مرة أن يعتقد بوجود ما يتصل بالبشر من أشياء ، دون أن يعتقد بوجود البشر أنفسهم ؟ اني أحب منه ـ أيها الأثينيون ـ أن يجيب ، وألا يعمد دائما الى المقاطعة ، هل اعتقد انسان مرة بوجود صفات الجياد دون الجياد نفسها ؟ أو وجود نغمات القيثارة دون العازف عليها ؟ ان كنت تأبى أن تجيب بنفسك يا صديقي ، فسأجيب لك وللمحكمة •

كلا ! لم يفعل ذلك انسان ، والآن ، هل لك أن تجيب عن هذا السؤال الثاني : أيستطيع انسان أن يؤمن برسول روحي الهي ، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة ؟

ـ انه لا يستطيع •

ـ يسرني أن أحصل منك بعون المحكمة على هذا الجواب ، ولكنك قد أقسمت في دعواك أنني أثق وأعتقد في رسل روحية الهية ، وسواء أكانت تلك

الرسل قديمة أم محدثة ، فأنا على أية حال أومن بها كما قلت وأقسمت في صحيفة الدعوى ، ولكن اذا كنت أعتقد بموجودات الهية ، أفلا يلزم أن أعتقد بالأرواح وأشباه الآلهة التي بعثتها ؟ أليس هذا حقا ؟ ما لي أراك صامتا ؟ ان الصمت معتام الرضى ، فما هذه الأرواح وأشباه الآلهة ؟ انها اما أن تكون آلهة ، أو أبناء آلهة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم هو كذلك .

ـ واذن فهذا موضع التناقض المحبوك الذي أشرت اليه ، فأشباه الآلهة أو الارواح هي آلهة ، وقد زعمت عني أول الامر أني كافر بالآلهة ، ثم ها أنت ذا تضيف أني مؤمن بها ، لأني مؤمن بأشباهها ، ولا يضيرنا أن تكون هذه الاشباه أبناء للآلهة غير شرعيين ، فسواء أعقبتها الآلهة من الشياطين أو من أمهات أخريات كما يظن ،فوجودها يتضمن بالضرورة ـ كما ترون جميعا ـ وجود آبائها ، والا كنت كمن يثبت وجود البغال وينكر وجود الجياد والحمير ، لا يمكن أن يكون هذا الهراء يا مليتس الا تدبيرا منك لتبلوني به ، ولقد سقته في دعواك لأنك لم تجد حقا تتهمني به ، ولكن لن

يجوز على من يملك ذرة من فهم ، قولك هذا بأن رجلا يعتقد في أشياء الهية ، هي فوق مستوى البشر، ولا يؤمن في الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشباه آلهة وأبطالا .

حسبي ما قلته رد الدعوى مليتس ، فلا حاجة بي الى دفاع قوي بعد هذا ، ولكني كما ذكرت من قبل لا بد أن يكون لي أعداء كثيرون ، وسيكون ذلك دافعي الى الموت لو قضي علي به ، لست أشك في هذا ، فليس الامر قاصرا على مليتس وأنيتس ، ولكنه الحقد الذي يأكل القلوب ، ويغري الناس بتشويه السمعة ، فكثيرا ما أدى ذلك برجال الى الموت ، وكثيرا ما سيقضي بالموت على رجال ،فلست بحمد الله آخر هؤلاء .

سيقول أحدكم : ألا تخجل يا سقراط من حياة يغلب أن تؤدي بك الى موت مباغت ، وعلى ذلك أجيب في رفق : أنت مخطيء يا هذا ، فان كان الرجل خيرا في ناحية منه ، فلا ينبغي أن يتدبر أمر حياته أو موته ، ولا يجوز أن يهتم الا بأمر واحد ، وذلك أن يرى هل هو فيما يعمل مخطيء أم مصيب، وهل يقدم في حياته خيرا أم شرا ، أترى اذن أن

الأبطال الذين سقطوا في طروادة لم يحسنوا صنيعا، فذلك ابن ثيتس الذي استصغر الخطر وازدراه حينما قرنه بما يثلم الشرف ، ولما قالت له أمه الالهية ، وهو يتحفز لقتل هكتور بأنه لو قتله انتقاما لصاحبه باتروكلس ، فسيدركه هو نفسه الموت ، ثم قالت : ان القدر يترصدك بعد هكتور ، فلما سمع هذا ، احتقر الخطر والموت احتقارا ، ولم يخشهما كما خشي أن يحيا حياة يدنسها العار دون أن ينتقم لصديقه ، فأجاب : ذريني أمت بعد موته ، فأنتقم من عدوي ، فذلك خير من الحياة فوق هذه السفن ، فأظل عارا على جبين الدهر تنوء بحمله الارض • هل فكر أخيل في الموت أو الخطر ؟ فمهما يكن موقف الرجل ، سواء اختار لنفسه ذلك الموضع أم أقامه فيه قائده ، فلا بد أن يلزمه ساعة الخطر ، ولا يجوز أن يفكر في الموت أو في شيء آخر غير دنس العار ، ان هذا أيها الأثينيون لقول حق •

بني أثينا ! كم كان سلوكي عجيبا ، لو أنني عصيت الله فيما يأمرني به ـ كما أعتقد ـ بأن أؤدي رسالة الفلسفة بدراسة نفسي ودراسة الناس ، وفررت مما كلفني به خشية الموت أو ما شئت من هول ، وأنا الذي حين أمرني القواد الذين

اخترتموهم في بوئيديا ، وأمفيبلوس وذليوم ، لزمت موضعي ، كأي رجل آخر ، أواجه الموت ، ما كان أعجب ذلك ، وما كان أحقني بأن أساق الى المحكمة بتهمة الكفر بالآلهة ، وكم كنت عندئذ أكون بعيدا عن الحكمة ، مدعيا اياها خاطئا ، لو أنني عصيت الراعية خوفا من الموت ؟ فليست خشية الموت من الحكمة الصحيحة في شيء ، بل هي في الواقع ادعاء لها ، لأنها تظاهر بمعرفة ما تستحيل معرفته ، فما يدريك ألا يكون الموت خيرا عظيما ، ذلك الـذي يلقاه الناس بالجزع كأنه أعظم الشرور ؟ أليس ذلك توهما بالعلم ، وهو ضرب من الجهل الشائن ؟ وهنا أراني أسمى مقاما من مستوى البشر ، وربما ظننت أني في هذا الأمر أحكم الناس جميعا ــ فما دمت لا أعلم عن هذه الحياة الا قليلا ، فلا أفرض في نفسي العلم ، وانما أعلم علم اليقين أن من ظلم من هو أرفع منه أو عصاه ، سواء أكان ذلك انسانا أم الها ، فقد ارتكب اثما وعارا ، ويستحيل علي أن أتحاشى ما يجوز أن يكون فيه الخير وأخشاه ، لأقدم على شر مؤكد ، ولهذا فلو أنكم أطلقتم الآن سراحي ، ورفضتم نصح أنيتس ، الذي قال بوجوب اعدامي بعد اذ وجه الي الاتهام ، لأني لو أفلـت

فسيصيب الفساد والدمار أبناؤكم باستماعهم لما أقول ، لو قلتم لي يا سقراط ، اننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس ، على شرط واحد ، وذلك أن تقف البحث والتفكير ، فلا تعود اليهما مرة أخرى ، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت ، ان كان هذا شرط اطلاق سراحي أجبت بما يأتي : أيها الأثينيون ! أنا أحبكم وأمجدكم ، ولكني لا بد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم ، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها ما دمت حيا قويا ، أسائل بطريقتي أيا صادفت بأسلوبي ، وأهيب به قائلا : ما لي أراك يا صاح تعني ما وسعتك العناية بجمع المال ، وصيانة الشرف ، وذيوع الصوت ، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس الا أقلها ، فهي لا تصادف من عنايتك قليلا ولا تزن عندك فتيلا ، وأنت ابن أثينا ، مدينة العظمة والقوة والحكمة ؟ ألا يخجلك ذلك ؟ فان أجاب محدثي قائلا : بلى ولكني معني بها ، فلن أخلي سبيله ليمضي من فوره ، بل أسائله وأناقشه وأعيد معه النقاش ، فان رأيته خلوا من الفضيلة ، وأنه يقف منها عند حد القول والادعاء ، أخذت في تأنيبه ، لأنه يحقر ما هو جليل ، ويسمو

بما هو دنيء وضيع ، سأقول ذلك لكل من أصادفه ، سواء أكان شابا أم شيخا ، غريبا أم من أبناء الوطن، لكني سأخص بعنايتي بني وطني ، لأنهم اخواني ، تلك كلمة الله فاعلموها ، ولا أحسب الدولة قد ظفرت بن الخير بأكثر مما قمت به ابتغاء مرضاة الله ، وما فعلت الا أن أهبت بكم جميعا ، شيبــا وشبانا ، أن انصرفوا الى أنفسكم وما تملكون ، وبادروا أولا بتهذيب نفوسكم تهذيبا كاملا ،وهأنذا أعلمكم أن الفضيلة لا تشترى بالمال ، ولكنها هي المعين لذي يتدفق منه المال ويفيض بالخير جميعا ، سواء ذلك خير الفرد وخير المجموع . ذلك مذهبي، فان كن هذا مفسدا للشباب ، فاللهم اني مــود بالشبل الى الدمار ، أما ان زعم أحدكم أن ليس مذهبي هو ذاك ، فهو انما يزعم باطلا .

أيها الأثينيون ! سواء لدي أصدعتم بما يأمركم به أنيس أم فعلتم بغير ما يشير ، وسواء أأصبت عندكم البراءة أم لم أصبها ، فاعلموا أني لن أبدل من أمي شيئا ، ولو قضيتم علي بالموت مرارا .

أيها الأثينيون ! لا تقاطعوني واصغوا الى قولي، فقد ودتموني أن تسمعوا الحديث حتى ختامه ،

وان لكم فيه لخيرا • أحب أن أفضي لكم بما عندي ، فان بمثكم على البكاء فأرجو ألا تفعلوا • أريد أن أصارحكم أن لو قضيتم علي بالموت فسيصيبكم من الضر أكثر مما يصيبني • ان مليتس وأنيتس لن يؤذياني ، لأنهما لا يستطيعان ، فليس من طبائع الأشياء أن يؤذي الرجل الخبيث من هو أصلح منه ، نعم ، ربما استطاع له موتا أو نفيا أو تجريدا من حقوقه المدنية ، وقد يبدو له كما يبدو للناس جميعا ، أنه يكون بذلك قد أنزل به أفدح البلاء ، ولكني لا أرى ذلك الرأي ، فأهول به مصايا هذا الشر الذي يقدم عليه أنيتس ـ بأن يقضي على حياة انسان بغير حق ، لست أكلمكم الآن ـ أيها الأثينيون ـ من أجل نفسي كما قد تظنون ، ولكن من أجلكم ، حتى لا تسيئوا الى الله ، أو تكفروا بنعمته بحكمكم علي ، فليس يسيرا أن تجدوا لي ضريبا اذا قضيتم علي بالموت ، وان جاز أن أسوق اليكم هذا التشبيه المضحك ، لقلت اني ضرب من الذباب الخبيث ، أنزله الله على الأمة ، التي هي بمثابة جواد لنبيل عظيم ثقيل الحركة لضخامته ، ولا بد له في حياته من حافز • أنا تلك الذبابة الخبيثة التي أرسلها الله الى الأمة ، فلا شاغل لي

متى كنت وأني كنت ، الا أن أثير نفوسكم بالاقناع والتأنيب ، ولما كان من العسير أن تجدوا لي ضريبا فنصيحتي لكم أن تدخروا حياتي ، نعم قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من نعاسكم العميق، ولكم أن تأملوا ، اذا ما صفعتموني صفعة الموت ، كما ينصح أنيتس ــ وما أهون ذلك عليكم ــ أنه يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم ، ما لم يبعث لكم الله ذبابة أخرى اشفاقا عليكم • أما انني جئتكم من عند الله فهذي آيته : لو كنت نكرة من الناس لما رضيت مطمئنا ، باهمال شؤون عيشي اهمالا طوال تلك السنين ، لأخصص نفسي لكم ، فقد جئتكم واحدا فواحــدا ، شأن الوالــد أو الأخ الاكبر ، فأحملكم على الفضيلة حملا ، وليس ذلك ما عهدناه في طبيعة البشر ، ولو كنت قد أفدت من ذلك أجرا أو جزاء لكان ذلك مدلول آخر ، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدعي أني أخذت أجرا أو سعيت اليه ؟ انهم لن يفعلوا ، لأنهم لن يجدوا لذلك دليلا • أما أنا فعندي ما يؤيد صحة ما أقول وحسبي بالفقر دليلا •

قد يعجب بعضكم لماذا أطوف بالناس آحــادا ، فأسدي اليهم النصح وأشتغل بأمورهم ، ولا أجرؤ

أن أتقدم بالنصح الى الدولة بصفة عامة ؟ وإليكم سبب هذا : كثيراً ما سمعتموني أتحدث عن راعية أو وحي يأتيني ، وهي معبودتي التي يهزأ بهـا مليتس في دعواه ، ولقد لازمني ذلك الوحي منـذ طفولتي ، وهو عبارة عن صوت يطوف بي فينهاني عن أداء ما أكون قد اعتزمت أداءه ، ولكنه لا يأمرني بعمل ايجابي ، فذلـك مـا حـال دون اشتغالـي بالسياسة ، واخال ذلك آمن الطرق ، فلست أشك أيها الأثينيون ـ في أني لو كنت ساهمت في السياسة للاقيت منيتي منذ أمد بعيد ولما قدمت خيرا لكم أو لنفسي ، وأرجو ألا يؤلمكم الحق ان أنبأتكم به ، فالحق أنه يستحيل على من يرافقكم الى الحرب أو أي اجتماع آخر ويقاوم فساد الاخلاق وأخطـاء الدولة أن ينجو بحياته . فان من يحارب مخلصا في سبيل الحق لن يمتد به الاجل الى حين ، الا ان كان مشتغلا بالأعمال الخاصة دون العامة ، وان أردتم لذلك برهانا ما سقت اليكم كلاما فحسب ، بـل ذكرت لكم حوادث بعينها ، وهي أقوى حجة مـن الألفاظ ، فاسمحوا لي أن أقص عليكم طرفا من حياتي الخاصة ، ينهض دليلا على أنني لم أخضع قط لظلم خشية الموت ، حتى لو وثقت بأن العصيان

سيعقب من فوره موتا محققا • سأقص عليكم قصة قد تشوقكم أو لا تشوقكم ، ولكنها مع ذلك حق • انني لم أشغل منصبا الا مرة عضوا في مجلس الدولة، وكانت رياسة المجلس عند محاكمة القواد الذين لم ينقذوا جثث القتلى بعد موقعة أرجنيس ، لقبيلة أنتيوخس ـ وهي قبيلتي ـ فرأيتم أن تحاكموهم جميعا ، وكان ذلك منافيا للقانون كما أدركتم ذلك جميعا فيما بعد ، ولكنني كنت اذذاك وحدي بين أهل بريتان أعارض الافتئات على القانون ،وأعلنت رأيي مخالفا لكم •

ولما تهددني الخطباء بالحبس والطرد ، وصحتم جميعا في وجهي ، آثرت أن أتعرض للخطر مدافعا عن القانون والعدل على أن أساهم في الظلم خشية السجن أو الموت ، حدث ذلك في عهد الديمقراطية ، فلما تولى زمام الامر الطغاة الثلاثة ، أرسلوا الي والى أربعة معي ، وكنا تحت السقيفة ، فأمرونا أن نسوق اليهم ليون السلامي من بلدة سلاس لينزلوا به الموت رو ذلك مثل لأوامرهم التي اعتادوا أن يلقوها لكي يشركوا معهم في جرائمهم أكبر عدد ممكن من الناس ، فبرهنت لهم قولا وعملا ، أني لا أعبأ بالموت ، وأنه لا يزن عندي قشة ، ان صح

هذا التعبير ، وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكا معوجا شائنا ، فلم أرهب طغيان تلك العصبة الظالمة ، ولم تضطرني الى ركوب الخطأ • فلما أخرجنا من السقيفة حيث كنا ، ذهب الاربعة الآخرون الى سلامس في طلب ليون ، أما أنا فقد أخذت سمتي نحو الدار في هدوء صامت ، وكنت أتوقع أن أفقد حياتي لقاء ذلك العصيان لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل ، وما أكثر من يشهدون بصدق ما أقول •

وهل تظنون أنه قد كان يمتد بي الاجل الى هذه السن ، لو قد ضربت في الحياة العامة بنصيب ، على فرض أني ـ كما ينبغي للرجل الصالح ـ لزمت جانب الحق ، وأحللت العدالة من نفسي ما هي جديرة به من مكان رفيع ؟ كلا ثم كلا ! فلو قد عولت ، أو عول كائن من كان ، على ذلك ، لما أتيح لي ـ بني أثينا ! ـ البقاء ، ولكني لم أجد فيما فعلت ـ عاما كان أم خاصا ـ عما رسمت لنفسي من جادة ، فلم أنغمس فيما أنغمس فيه هؤلاء الذين أشيع بين الناس أنهم تلاميذي ، أو من عداهم ، فلم يكن لي في حقيقة الامر تلاميذ دائمون ، اذ أبحث الحضور لكل من أزاد حضورا واستماعا ،

اني كنت مؤديا رسالتي ، لا فرق عندي بين شيخ أو شاب ، لم أتخذ شرطا ، ولم ألتمس أجرا ، فكان الحوار مشاعا لمن أنقدو من لم ينقد ، فلمن شاء أن يوجه الي سؤالا ، أو يجيب لي عن سؤال ، أو يصغي الى ما أقول من حديث ، أما أن يتقلب أحد أولئك بعد ذلك خيرا أو شريرا ، فليس عدلا أن أحمل تهمته ، لأنني لم أعلمه شيئا . وإن زعم امرؤ أني ربما علمته أو أسمعته شيئا في خلوة خاصة خفيت على الناس جميعا ، فاعلموا أنه انما يزعم لكم باطلا .

فاذا سئلت : لماذا يصادف الناس من حوارك المتصل لذة ومتاعا ؟ أجبت أيها الأثينيون بالحقيقة التي أنبأتكم بها ، وهي أنهم يستمتعون بشهادة أدعياء الحكمة في امتحانهم ، فلهم في ذلك لذة ، وذاك واجب أمرني به الله ، كما علمت يقينا من الرسل والرؤى ، وكل طريقة أخرى يمكن لارادة القوى الالهية أن تفصح بها عن نفسها لكائن من كان . أيها الأثينيون ! ذلك حق ، فان كان افتراء فما أهون أن تكذبوه ، ولو كنت أفسد الشبان حقا ، وكنت قد أفسدت بعضهم فعلا ، لوجب أن يتصدى منهم للانتقام أولئك الذين تقدمت بهم السن ،

فأدركوا ما نفثت لهم من نصحي من سوء أيام الشباب ، فان لم يفعلوا ذلك بأنفسهم وجب أن ينهض ذوو قرباهم أو آباؤهم أو اخواتهم ، أو من الى هؤلاء ، فيقتضيني ما أنزلت بأبنائهم من سوء ، ها قد حان حينهم ، واني لأرى منهم في المحكمة كثيرا ، ها هو ذا أقريطون وهو يعدلني سنا ، وهأنذا أرى ابنه كريتوبوليس ، وذاك ليسانياس السفيطي أبو أشينس ألمحه بين الحضور ، وذاك أنتيفون الشفيسي أبو أبجينوس ، وهؤلاء اخوة كثير ممن التفوا حولي ، فهناك نيكوستراتوس بن تيوسدوتيد وأخو تيودوتس (وقد اختار الله تيودوتس الى جواره ، فهو على أية حال لن يستطيع لي معارضة) وذلك بارالوس بن ديمودوكس ، وقد كان له أخ يدعى تياجس ، وأديمانتوس بن أرستون الذي أرى أخاه أفلاطون بين الحاضرين ، وكذلك أرى بينكم آنتودورس ، وهو أخو أبولودورس • ويمكنني أن أذكر غير هؤلاء كثيرين ممن كان لزاما على مليتس أن يقدم منهم للشهادة من يشاء في سياق دعواه ، ومع ذلك فادعوه الآن يستشهدهم ان كان قد فاته ذلك أولا ، وسأفسح له الطريق • سلوه هل بين هؤلاء من يشهد له فيقدمه ؟ كلا أيها

الأثينيون ، فنقيض ذلك هو الصحيح ، اذ هؤلاء لا يأبون أن يؤيدوا بالقول ذلك المتلاف الذي أفسد ذويهم ، كما يسميني مليتس ، وأنيتس ، انـي لا أستشهد الشبان الذين أفسدتهم فحسب ، فقـد يكون عند هؤلاء ما يحيد بهم عن الحق ، ولكنـي أستشهد ذويهم ، وهـم بعيـدون عـن افسادي ، ويكبرون أولئـك سنـا ، فلمـاذا يظاهروننـي بشهادتهم ، الا أن يكون ذلك تأييدا للحق والعدل ؟ فهم يعلمون أني أقول الصدق ، أما مليتس فمفتر كذاب .

أيها الأثينيون ! هذا وما اليه هو كل دفاعـي الذي وددت أن ألقيه ، ولكني أرجو أن أضيف اليه كلمة أخرى : قد يكون بينكم من يصب علي نقمته اذا ما ذكرت كيف أستجدي الشفاعة والرحمة بعينين باكيتين في مثل هذا الموقف أو ما هو دونه خطرا ، وكيف ساق أبناءه الى المحكمة في جمع من أصدقائه وأقربائه لعله يحرك بذلك الرحمة في النفوس ، ثم ينظر فلا يراني أهم بمثل ذلك ، على ما يتهـدد حياتي من الخطر ، قد يطوف بذهنه هذا فيقـف مني موقف العداوة ، ثم يصوت وهو في ثورة من الغضب لأن موقفي لا يرضيه ، فان كان ذلك الرجل

بينكم ، ولا أحسبه كذلك ، فاليه أسوق الحديث رفيقا : أي صديقي ! انني رجل ككل الناس خلقت من لحم ودم لا من خشب وحجارة ، كما يقول هومر ، ولي أسرة ولي أبناء أعدادهم ـ أيها الأثينيون ـ ثلاثة ، بلغ أحدهم الصبا وما يزال الآخران طفلين ، ومع ذلك فلن أسوق اليكم منهم أحدا يستجديكم براءتي ٠ ولم لا ؟ لست أصدر في ذلك عن اعتداد بنفسي أو ازدراء لكم ، وسواء خشيت الموت أم لم أخشه فذلك شأن آخر لن أتحدث عنه الآن ، وانما دفعني الى ذلك عقيدة أن ذلك تصرف يضع من قدري ويحط من شأنكم ويصم الدولة بأسرها وصمة العار ، فلا يجوز لرجل قضى من العمر ما قضيت ، وذاع صوته في المحكمة بحق أو بغير حق ، أن يحقر من نفسه ٠ فمهما يكن من أمر ، فقد استقر رأي الناس أجمعين على أن سقراط يفضل من عداه في احدى نواحيه ، فان كان أولئك الذين يقال عنهم انهم يفضلونني حكمة وشجاعة وما شئت من فضيلة ، يمتهنون أنفسهم بمثل ذاك السلوك ، فواخجلتاه مما يفعلون ! فقد شهدت ناسا من ذوي الصوت الذائع يفعلون ساعة الحكم عليهم عجبا عجابا فبدوا كأنما خيل اليهم أنهم ذاهبون ، اذا قضيتم عليهم

بالموت ، الى حيث الرعب والجزع ، كأنهم حسبوا أن لو حليتم بينهم وبين الحياة السبيل فسيكونون من الخالدين ، انما هؤلاء في حسابي وصمة عار في جبين الدولة ، ولو أبصرهم وافد غريب لانقلب الى أهله يروي عن أثينا أن أعلام رجالها الذين يرفعهم الأثينيون فوق الهام ، ويسلمونهم زمام الامر ، لا يفضلون الناس في شيء ، ولا يجوز في اعتباري أن يكون ذلك من هؤلاء الذين بلغوا بنينا شأوا عظيما ، فان وقع فلا تدعوه حادثا يمضي ، ولا تأخذكم بهم هوادة وخذوا بالشدة كل من يقف منكم هذا الموقف المتوجع ، لأنه بذلك يعرض المدينة للسخرية ، وذ كذلك الصابر الوديع ٠

ودعوكم من العار ، فيلوح لي أن في استرحام القاضي واستجدائه العفو في مكان اقناعه وانبائه بالنبأ الصحيح خطلا ، فليس واجب القاضي أن يمنح العدالة منحا ، بل عليه أن يحكم حكما عادلا ، وقد أقسم أن يحكم وفق القانون ، دون أن يميل مع الهوى ، ولا يجوز له ولا لنا أن نتعود الجلف باطلا ، فلا أحسب في ذلك شيئا من الورع والتقوى٠ فلا تريدوني اذن على أن افعل ما أعده فجورا وشينا وخطلا ، ولا سيما وأنتم تحاكمونني فيما

ادعاه مليتس عني من فجور ، فلو استطعت أيها الأثينيون أن أحيد بكم بالاغراء والرجاء عن قسمكم لكنت بذلك معلمكم الكفر بالآلهة ، ولانقلب دفاعي علي اتهاما بالزيغ عن الايمان ، ولكن الواقع غير هذا ، فعقيدتي في الآلهة قائمة على شعور أسمى جدا مما تقوم عليه عقيدة أي مدع من المدعين • فأنا أضع قضيتي أمامكم وأمام الله لتحكموا فيها بما هو خير لي ولكم •

وما كاد سقراط ينتهي من دفاعه هذا حتى حكم عليه بالموت ، فقال مخاطبا الأثينيون :

أيها الأثينيون ! لقد قضيتم بادانتي ، فلم يثر شجني هذا القضاء ، وعندي لذلك أسباب كثيرة ، فقد كنت أتوقع ذلك ، ولشد ما أدهشني أن كادت تتعادل الاصوات ، فقد ظننت أن فريق الاعداء لا بد أن يكون أوفر من ذلك عددا ، واذا بكفة البراءة لو زاد مؤيدوها ثلاثين صوتا لرجحت ، أفلم أظفر بهذا على مليتس ؟ بل اني لأذهب الى أبعد من الظفر فأزعم أنه لولا أن ظاهره أنيتس وليقون لما ظفر بخمس الاصوات الذي يحتمه القانون ، ولا خطر تبعا لذلك الى دفع غرامة قدرها ألف دراخمة كما ترون •

ولذلك يقترح أن يكون الموت جزائي ، فماذا أقترح بدوري أيها الأثينيون ؟ بالطبع ما أراني جديرا به · فماذا ينبغي أن أبذل من غرم أو أنال من غنم ! ماذا أنتم صانعون برجل لم يوفقه الله أبدا ليصطنع البلادة طوال أيام حياته ، وأهمل ما عنيت به كثرة الناس – أعني الثروة ومصالح الأسرة والمناصب الحربية ، ولم يقل في جمعية الشعب قولا ولم يشترك في مجالس الحكام ، ولم يساهم في الدسائس والاحزاب بنصيب ؟ كلما فكرت أني كنت رجلا بلغ من الشرف حدا بعيدا فسلكت في سبل الحياة ما سلكت ، لم أقصد الى حيث لا أستطيع أن أعمل خيرا لكم ولنفسي ، بل التمست طريقا أمكنتني أن أقدم لكل منكم على حدته خيرا عظيما ، وحاولت أن أحمل كل رجل بينكم على وجوب النظر الى نفسه لينشد الفضيلة والحكمة قبل أن ينظر الى مصالحه الخاصة ، وأن يضع الدولة في اعتباره فوق مصالحها ، فيكون ذلك دستورا لأعماله جميعا ·

ماذا أنتم صانعون بمثل هذا الرجل أيها الأثينيون ! لا اخالكم الا مجازيه خيرا ان كان لا بد من الجزاء ، ويجدر باحسانكم أن يجيء ملائما

لحالته ، فماذا يحسن برجل فقير أحسن اليكم الصنيع ، ويرغب في الفراغ ليتمكن من تعليمكم ، سوى أن يظل أبدا في مجلس الدولة ؟ وانه أيها الأثينيون لأجدر بهذا الجزاء ممن كوفيء في أوليمبيا في سباق الخيل أو سباق العجلات ، سواء أكان يشد عجلته جوادان أو أكثر ، لأنني فقير محتاج ، وذاك غني عنده ما يسد منه العوز ، على أنه لا يعطيكم الا سعادة ظاهرية ، أما أنا فأدلكم على الحقيقة ٠

فاذا كان لي أن أقدر لنفسي عقوبة عادلة ما قلت بغير البقاء في مجلس الدولة جزاء أوفى ٠ قد يذهب بكم الظن أني انما أتحداكم بهذا كما فعلت حينما حدثتكم عن الضراعة والبكاء ، كلا فليس الأمر كذلك ، انما أقول هذا لأنني أعتقد أنني لم أسيء الى أحد عامدا ، ولا أظنني قادرا على اقناعكم بذلك في هذا الحوار القصير ؟ فلو كان في أثينا قانون — كما هي الحال في سائر المدن — لا يبيح حكم الاعدام في يوم واحد ، لاستطعت فيما أعتقد أن أقنعكم ، أما الآن فالفترة وجيزة ، ولا يمكنني أن أدحض في لحظة هؤلاء المدعين الفحول ، وان كنت كما ظننت لم أسيء الى أحد فلن أتقدم بالاساءة الى

نفسي قطعا ، واذن فلن أعترف بنفسي بأني حقيق بالسوء ، ولن أقترح عقوبة ما ، ولماذا أفعل ؟ أخوفا من الموت الذي يقترحه مليتس ؟ على حين أنـي لا أعلم ان كان الموت خيرا أم شرا ! لماذا اقترح عقابا فيكون شرا مؤكدا لا مفر منه؟أأقترح السجن؟ ولماذا أزج في غياهبه فأكون عبد الحكام هذا العام ـ أعني الأحد عشر ؟ أم أقترح أن أعاقب بالتغريم ، وأن أسجن حتى تدفع الغرامة ؟ فالاعتراض بنفسه قائم ، لأنني لا بد أن ألبث في السجن ، لأنني لا أملك مالا ولا أستطيع دفعـا ، وان قلـت النفي (وربما قر رأيكم على هذه العقوبة) وجب أن يكون حب الحياة قد أعمى بصيرتي ، لأنكم وأنتم بنو وطني لا تطيقون رؤيتي ولا تسيغون كلامي ، لأنه في رأيكم خطر ذميم ، فوددتم لو نجوتم مـن شري عسى أن يطيقه سواكم ، فما حياتي في هذه السن ، ضاربا من مدينة الى مدينة مشردا أبدا ، طريدا دائما ، يلفظني البلد في اثر البلد ، فما أرتاب في التفاف الشبان حولي أينما حللت كمـا فعلوا هنا ، فلو نفضتهم رغبوا الى أوليائهم في طردي فاستجابوا لرجائهـم ، ولو تركتهـم يسعون الي طردني آباؤهم وأصدقاؤهم صونا لأنفسهم .

رب قائل يقول : نعم يا سقراط ، ولكن ألا تستطيع أن تمسك لسانك حتى اذا ارتحلت الى مدينة أخرى ما اشتبك انسان معك ؟ وعسير جدا أن أفهمكم جوابي عن هذا السؤال ، فلو أنبأتكم أني لو فعلت ذلك لكان عصيانا مني لأمر الله ، ولذلك لا أملك حبسا للساني ، لما صدقتم أن يكون جدا ما أقول ، ولو قلت بعد ذلك ان أعظم ما يأتيه الانسان من خير هو أن يحاور كل يوم في الفضيلة ، وما يتصل بما سمعتموني أسائل فيه نفسي وأسائل الناس ، وان الحياة التي تخلو من امتحان النفس ليست جديرة بالبقاء ، كنتم لهذا أشد تكذيبا ، ولكني لا أقول الا حقا وان عز علي اقناعكم بصدقه ، اني لم أعهد نفسي جارمة تستأهل العقاب ، ومع ذلك فلو كان لدي مال لاقترحت أن أعطيكم ما أملك ، ولم يكن ذلك ليضيرني في شيء، ولكنكم ترون أني لا أملك مالا ، لا بل أظنني قادرا على دفع منية واحدة ، ولذا أقترح هذه العقوبة ، ان أصدقائي : أفلاطون ، وأقريطون ، وكريتوبوليس ، وابولودورس ، وهم بين الحاضرين يرجون مني أن أقول ثلاثين منية ، يضمنون هم دفعها ، حسنا ، اذن فاحكموا بثلاثين منية ، ولتكن

هي عقوبتي ، وأحسب هؤلاء كفلاء بدفعها .

أيها الأثينيون ! لن تفيدوا بقتلي الا أمدا قصيرا ، وستدفعون له ثمنا ما تنطلق به ألسنة السوء تذيع عن المدنية العار ، ستقول عنكم أنكم قتلتم سقراط الحكيم ، فسيدعونني وقتئذ بالحكيم وان لم أكن حكيما تقريعا لكم ، ولو صبرتم قليلا لظفرتم بما تبتغون بطريق طبيعية ، فلقد طعنت في السن كما ترون ، ودنوت من أجلي ، انما أسوق هذا الحديث الى هؤلاء الذين حكموا علي بالموت ، وأحب أن أضيف اليهم كلمة أخرى ! قد تحسبون أن اتهامي جاء نتيجة لعي لساني ، فلو قد آثرت أن أفعل كل شيء وأن أقول كل شيء ، لجاز لي أن أظفر بعفوكم ، ولكني لم أفعل ذلك ، فليس عيا في لساني ما أدى الى ادانتي ، ولكنه ترفعي عن القحة والصفاقة ، وصدوفي عن مخاطبتكم بما كنتم تحبونني أن أخاطبكم به : بالعويل والبكاء والرثاء، وأن أقول وأفعل كثيرا مما تعودتم استماعه من الناس ، وهو لا يجمل بي كما ذكرت ، فقد رأيت واجبي ألا أتبذل في العمل ، أو أسف في ساعة الخطر ، ولست آسف على ما سلكت من طريق للدفاع ، فاني لأوثر خطتي التي رسمتها ولو أدت

بي الى الموت ، على أن أصطنع خطتكم احتفاظا بالحياة ، فلا يجوز لانسان في ساحة الوغى أو أمام القانون أن يلتمس أي سبيل فرارا من الموت ؟ فلو ألقى المحارب بسلاحه في المعركة ، وجثا على ركبتيه أمام مطارديه لظفر غالبا بالنجاة من الموت، ولكل ضرب من ضروب الخطر طرق للنجاة من الهلاك ، اذا لم يتعفف المرء عن كل قول وكل فعل مهما يكن شائنا ، فليس عسيرا أيها الاصدقاء أن نفر من وجه الموت ، ولكن العسر كل العسر في تجنب الاخلاق الفاسدة ، فالفساد والموت يعدوان في أعقابنا ، ولكن الفساد أسرع من الموت عدوا ، فأنا الذي اكتهلت ، انما أسير سيرا وئيدا ، فيكاد يدركني أبطأ العاديين ، أما المدعون فسراع متحمسون ، وسيلحق بهم أسرعهما ـ أعني الفساد ، وبعد فسأترك موقفي هذا ، وقد جرى علي قضاؤكم بالموت ، وكذلك هم سينطلقون كل الى سبيله •

وقد قال فيهم الحق كلمته ، بأن يعانوا ما هم فيه من ضعة ، ولا بد لي أن أخضع لما حكم علي به ، وعليهم كذلك أن يرضوا بما كتب لهم ، أحسب أن قد جرى القدر بهذا جميعا ، فعسى أن يكون خيرا ، ولا أحسبه الا كذلك •

وبعد ، فيا هؤلاء الذين أجروا على قضاءهم ، هاكم نبؤتي التي أحب أن أبلغكم اياها ، لأنني مشرف على الموت ، وتلك ساعة يوهب فيها المرء مقدرة على التنبوء . أتنبأ لكم يا قاتلي بأنه لن يكاد ينفذ حكم الموت حتى ينزل بكم ما هو أشد من ذلك هولا . لقد حكمتم بموتي ، لأنكم أردتم أن تفلتوا من ذاك الذي يتهمكم ، ولكيلا تحاسبوا على ما قدمت أيديكم ، ولكن لن يكون لكم ما ترجعون ، بل نقيضه . فسيكون متهموكم أوفر عددا منهم اليوم ، اذ سيهب في وجوهكم من كنت مسكتهم حتى الآن ، وسيكون أولئك أشد قسوة عليكم لأنهم دونكم سنا ، وسيذيقونكم من العذاب أكثر مما تذوقون اليوم ، فان حسبتم أنكم خالصون من متهمكم بقتله ، كي لا ينغص عليكم عيشكم ، فأنتم مخطئون ، اذ ليست تلك سبيلا مؤدية الى الفرار ، ولا هي مما يشرفكم ، وأيسر من ذلك وأشرف ألا تهاجموا الناس ، بل تبادروا باصلاح أنفسكم . تلك هي نبؤتي التي أبلغها الى القضاة الذين حكموا علي قبل رحيلي .

وأنتم أيها الاصدقاء الذين سعوا الى براءتي ، أحب كذلك أن أتحدث اليكم عما وقع ، عندما يشغل

الرؤساء ، وقبل أن أذهب الى مكان موتي ، فالبثوا قليلا ، لأننا نستطيع أن يتحدث بعضنا الى بعض ما دامت هناك فسحة من وقت • أنتم أصدقائي وأحب أن أدلكم على معنى هذا الذي وقع • يا قضاتي ـ فأنا أدعوكم قضاة بحق ـ أحب أن أحدثكم بأمر عجيب ، لقد كانت مشيرتي حتى الآن ، تلك المشيرة التي عهدتها في دخيلتي ، لا تفتأ تردني في توافـه الأمور ، ان كنت مقدما على زلل أو خطأ في أي شيء ، والآن ـ كما ترون ـ قد داهمني ما يحسبه اجماع الناس أقصى الشرور وأقساها ، ولم تلوح لي مشيرتي بعلامة المعارضة حينما تركت داري في الصباح ، ولا حين كنت أصعد الى هذه المحكمة ، ولا حين ألقيت كل ما اعتزمت أن أقوله ، ومع أنـــي عورضت كثيرا أثناء الحديث ، الا أن المشيرة لم تعارضني في كل ما قلت أو فعلت مما يتصل بهذا الأمر ، فيم أعلل هذا ، وكيف أفهمه ؟ سأخبركم : اني أعد هذا دليلا على أن ما حدث لي هو الخير ، ويخطيء من يظن منا أن الموت شر • هذا دليــل ناهض على ما أقول ، لأن الاشارة التي عهدتها لم تكن لتتردد في معارضتي لو كنت مقبلا على الشر دون الخير •

لنقلب النظر في الأمر ، وسنرى أن ثمة بارقة قوية من الامل تبشر بأن الموت خير • فاحدى اثنتين: اما أن يكون الموت عدما وغيبوبة تامة ، واما أن يكون كما يروي عنه الناس تغيرا وانتقالا للنفس من هذا العالم الى عالم آخر • فلو فرضتم فيه انعدام الشعور ، وأنه كرقدة النائم الذي لا تزعجه حتى أشباح الرؤوس ، ففي الموت نفع لا نزاع فيه ، لأنه لو أتيح لانسان أن يقضي ليلة لا يزعج نعاسه فيها شيء ، حتى ولا أحلامه ، ثم قارنها بما سلف في حياته من ليال وأيام ، وسئل بعد ذلك : كم يوما وليلة قضاها بين أعوامه وكانت أبهج من تلك الليلة وأسعد ؟ فلا أحسب أحدا ـ ولا أختص بالقول أحدا ـ بل لن يجد حتى أعظم الملوك بين أيامه ولياليه كثيرا من أشباهها • فاذا كان الموت كهذا فأنعم به ، وليس الخلود اذن الا ليلة واحدة ! أما ان كان الموت ارتحالا الى مكان آخر ، حيث يستقر الموتى جميعا كما يقال ، فأي خير يمكن أن يكون أعظم من هذا أيها الاصدقاء والقضاة ! واذا كان حقا أنه اذا بلغ الراحل ذلك العالم الأدنى ، خلص من أساطين العدل في هذا العالم ، وألفى قضاة بمعنى الكلمة الصحيح ، اذ يقال ان القضاء هناك

في أيدي مينـوس ، ورادامنتـوس ، وايكـوس ، وتربتوليموس ، وسائر أبناء الله الذين عمـروا حياتهم بأقوم الاخلاق ، فما أحب الى النفس ذاك الارتحال وهل يضن الرجل بشيء اذا أتيح له أن يتكلم مع أورفيـوس ، وموسيـوس ، وهزيـود ، وهوميروس ؟ كلا ، لو كان هذا حقا فذروني أمت مرة ومرة ، فسأصادف متاعا رائعا في مكان أستطيع فيه أن أتحدث الى بالاميدس . وأجاكس بن تلامون، وغيرهم من الابطال القدامى الذين تجرعوا المنون بسبب قضاء ظالم ، ولا أظنني حين أقارن الآن آلامي بآلامهم الا مغتبطا مسرورا . وفـوق كـل هـذا فسأتمكن من استئناف بحثي في المعرفة الحـق ، والمعرفة الزائفة ، وكما فعلت هنا سأفعل في العالم الثاني ، وسأكشف عن الحكيم الصحيح ، وعمـن يدعي الحكمة باطلا . بماذا يضن الرجل أيهـا القضاة اذا أتيح له أن يمتحن قائد الحملة الطروادية الكبرى أو أدونيس ، أو سسفوس وغير هؤلاء ممن لا يتعون تحت الحصر رجالا ونساء ؟ ألا ما أعظمها غبطة لا تحد تلك التي أجدها في نقاشهم ومحاورتهم، لأنهم في ذلك العالم لن يقضوا على أحد بالموت من أجل هذا . كلا ولا ريب ، هذا فضلا عما يصادفه

الناس في ذلك العالم من سعادة عزت على هذه الدنيا فان صح ما يقال فهم ثمة خالدون ٠

فابتسموا اذن للموت أيها القضاة واعلموا علم اليقين أنه يستحيل على الرجل الصالح أن يصاب بسوء ، لا في حياته ولا بعد موته ، فلن تهمله الآلهة ، ولن تهمل ما يتصل به ، كلا ، وليست ساعتي الآزفة قد جاءت بها المصادفة العمياء ، فلست أرتاب في أن الموت مع الحرية خير لي ،ولذلك لم تشر مشيرتي بشيء ولست لهذا غاضبا من المدعين ، أو ممن حكموا علي ، مما نالتني منهم اساءة ، ولو أن أحدا منهم لم يقصد الى أن يعمل معي خيرا ، وقد أعاتبهم عتابا رقيقا ٠

وان لي عندهم لرجاء ، فأنا ألتمس أيها الأصدقاء ، اذا ما شب أبنائي ، أن تنزلوا بهم العقاب ٠ وأحب أن تؤذوهم كما آذيتكم ، وذلك ان بدا منهم اهتمام بالثروة ، أو بأي شيء أكثر مما يهتمون بالفضيلة ، أو اذا هم ادعوا أنهم شيء ، وكانوا في حقيقة الامر لا شيء ٠

اذن فأنحوا عليهم باللائمة كما فعلت معكم ،

لاهمالهم ما ينبغي أن يبذلوا فيه عنايتهم ، ولظنهم أنهم شيء على حين أنهم في الواقع لا شيء . فاذا فعلتم هذا ، أكون قد نالني و نال أبنائي العدل على أيديكم .

لقد أزفت ساعة الرحيل ، وسينصرف كل منا الى سبيله ، فأنا الى الموت ، وأنتم الى الحياة ، والله وحده عليم بأيهما خير .

سقراط في سجنه :

بعد انتهاء محاكمة سقراط ،وحيث قرر القضاة الحكم عليه بالموت ، اقتيد الى السجن ، لينتظر تنفيذ حكم الاعدام فيه حسب الأصول المتبعة في أثينا، والقاضية بتنفيذ الحكم فورا بالمحكوم عليه ، ولكن اليوم السابق لمثول سقراط أمام المحكمة كان أيضا اليوم الاول لسفر الوفد الذي اعتاد سكان أثينا على ارساله كل عام الى ديلوس ، وكانوا يقصدون بهذا الاحتفال تخليد ذكرى مآثر تسيوس الذي أنقذ أثينا من الجزية السنوية التي كانت تدفعها شبابا وفتيات كقرابين وغذاء للمنيتور الكريتي .وكانت عقوبة الموت لا تنفذ بالمحكوم عليه طيلة غياب

سفينة الدولة في بعثتها هذه • وقد استغرق غيابها في ذاك العام وقتا طويلا بقي معه سقراط طيلة شهر كامل رهين سجنه •

وقد يكون من المتوقع انهم كانوا يترقبون أن يحدث بعض التأخير في تنفيذ الحكم على سقراط ، وربما كان أعداء سقراط قد قرروا سرا أن يسهلوا له الفرار من السجن ومن البلاد • وكذلك عمد أتباعه وأصدقاؤه الى محاولة تسهيل مهمة فرار سقراط من السجن ، ولكن سقراط هذا المعلم الحكيم رفض بشموخ واباء أن يغادر سجنه مهما كانت النتائج وليس عليه الا أن ينفذ قوانين الدولة التي يرى وجوب احترامها حتى ولو كانت جائرة •

ومن الطبيعي أن يزور سقراط في سجنه طلابه ومريديه لالقاء نظرة أخيرة عليه ولتوديعه الوداع الأخير قبل أن يطفأ نوره الشعشعاني الذي أنار النفوس وأضاء العقول بما قدم لهم من أفكار عقلانية وآراء عرفانية فعلت في أنفسهم وذواتهم فعل السحر •

وفي عام ٣٩٩ ق•م• بينما كان سقراط في غرفة

في سجن الدولة في آثينا ، من قبل اطلالة الفجر بحوالي نصف ساعة ، والظلام يكاد يلف الغرفة لولا بصيص نور مصباح زيتي ، وقد أسند سرير الى الحائط ، وبقربه منضدة عليها المصباح ، وكان سقراط يتمدد بهدوء واطمئنان على ذلك السرير ، بينما يجلس عند قدميه صديقه الحميم أقريطون على مقعد خشبي • وأقريطون هذا رجل مهيب طاعن في السن ولطيف وعملي ، تصطخب في أعماقه انفعالات عاطفية حبيسة •

وما لبث سقراط الذي كان مستغرقا في نومه أن تململ وتثاءب وفتح عينيه ، حتى شاهد صديقه أقريطون فقال له : أأنت هنا يا اقريطون ؟ لا شك أن الوقت ما يزال مبكرا ؟

أقريطون : بلى انها لكذلك •

سقراط : كم هي على التحديد ؟

أقريطون : الفجر في البزوغ •

سقراط : عجيب أن يأذن لك حارس السجن بالدخول •

أقريطون : انه يعرفني يا سقراط لأنني جئت مرارا ، ولأنني فوق ذلك ذو فضل عليه •

سقراط : أجئت الآن توا ؟

أقريطون : كلا بل جئت منذ حين .

سقراط : اذا فما الذي أجلسك صامتا ، وكان الأجدر بك أن توقظني على الفور ؟

أقريطون : حقا يا سقراط اني لم أكن لأرضى لنفسي كل هذا الغم والأرق ، ولكني أخذت بالعجب أن رأيتك في نعاس هادىء ، فلم أرد لهـذا أن أوقظك ، وآثرت لك أن تظل بعيدا عن الأسى ، لقد عرفتك دائما سعيدا بما لك من مزاج هادىء ولكني لم أر الدهر ضريبا لك في احتمالك لهـذا المصاب مستخفا باسما !

سقراط : ان الانسان يا أقريطون اذا عمر ما عمرت فلا ينبغي له أن يجزع من شبح الموت .

أقريطون : ولكن سواك من الكهول ، اذا مـا نزلت بهم أشباه هذه الكوارث لا يمنعهم الهرم من الجزع .

سقراط : قد يكون ذاك ، ولكن هلا حدثتني عما أتى بك في هذه الساعة الباكرة ؟

أقريطون : أتيت أحمل نبأ مؤلما يبعث علـى

الشجن ، لا بالنسبة اليك فيما أظن ، بل بالنسبة لنا جميعا ــ نحن أصدقاءك ــ وهو عندي أبلغ ما يكون ايلاما ٠

سقراط : ماذا ؟ أحسب أن قد عادت السفينة من ديلوس ووصولها نذير بموتي ؟

أقريطون : كلا ، لم تبلغنا السفينة بعد ،ولكنها ربما وصلت اليوم ، فقد أنبأني أناس جاءوا من صونيوم ، أنهم خلفوها هناك ، واذن فآخر يوم من حياتك يا سقراط هو الغد ٠

سقراط : مرحى يا أقريطون ، ان كانت هذه ارادة الله فمرحبا بها ، ولكني أعتقد أن سيؤجل الأمر يوما آخر ٠

أقريطون : ومن أنباك هذا ؟

سقراط : هاك الخبر ٠ اني بالغ أجلي في اليوم التالي لوصول السفينة ٠

أقريطون : نعم ، وهذا ما يرويه أولو الأمر ٠

سقراط : ولكني لا أظن السفينة بالغتنا الا غدا ٠ عرفت ذلك من رؤية رأيتها ليلة أمس ، بل كنت أراها الآن توا ، حين تركتني ــ لحسن حظي ــ

نائما .

أقريطون : وكيف كانت رؤياك تلك ؟

سقراط : جاءتني شبيهة امرأة جميلة وسيمة ، تدثرت بثوب أبيض ، وصاحت بي قائلة : يا سقراط : انك ذاهب الى أخراك في اليوم الثالث منذ الآن .

أقريطون : ما أعجبه من حلم يا سقراط !

سقراط : معناه ظاهر يا أقريطون ، وليس في مجال للريب .

أقريطون : نعم انه جلي غاية الجلاء ، ولكن ، أواه ! يا عزيزي سقراط ، دعني أتوسل اليك مرة أخرى ، أن تأخذ بنصحي فتعمد الى الهروب ، لأنك اذا مت فلن أفقد فيك صديقا فريدا وكفى ، ولكن ثمة فوق ذلك شرا : سيزعم من لا يعرفك ولا يعرفني عن الناس أني كنت أستطيع لك النجاة لو أنني رغبت في بذل المال ، ولكنني لم أعبأ بك ، أفيمكن أن يكون بعد هذا العار عار - أن يقال اني آثرت المال على حياة صديق ؟ وهيهات أن يقتنع الدهماء بأني أردتك على الفرار فرفضت .

سقراط : وفيم العناية بحديث الدهماء يا

عزيزي أقريطون سترى الفئة الصالحة في ذلك رأيا صوابا يطابق ما وقع ، وهـي وحدها جديـرة بالاعتبار ·

أقريطون : ولكنك ترى يـا سقراط أن رأي الدهماء لا بد من اعتباره وذلك ظاهر في قضيتـك أنت ، ففي مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضى كائنا من كان ·

سقراط : ليتهم يستطيعون ذلك يا أقريطون فذلك كل ما أرجوه ، اذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير ، فيكون ذلك منهم جميلا · ولكنهم في حقيقة الامر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء ، وليس في مقدورهم أن يصيروا الرجل حكيما أو فدما ، وكل أفعالهم وليدة المصادفة ·

أقريطون : نعم ولست منازعك في ذاك ، ولكن هلا تفضلت فأنبأتني يا سقراط ـ ان كنت لا تغض الطرف علي وعن سائر أصدقائك فيما تعرف من الأمر ـ ألست تخشى أنك ان فررت من هذا المكان فقد يصيبنا النمامون بالضر بسبب اختطافك ، وأنا

قد نفقد أملاكنا كلها أو جلها ، أو قد ينزل بنا من الشر ما هو أشد من ذلك هولا ؟ فليطمئن قلبك ان كان ذلك ما تخشاه • فواجب حتم علينا أن نخاطر بهذا و بما هو أعظم من هذا في سبيل نجاتك ،فاقتنع اذن بما أقول ، وافعل بما أشير •

سقراط : نعم يا أقريطون ، وليس هذا الذي ذكرته كل ما أخشى ، وان يكن جانبا منه •

أقريطون : لا تخف • ان هناك نفرا يود لو ينجيك فينتزعك من غيابة السجن ، ولن يكلفهم ذلك شططا ، أما النماون منهم كما ترى لا يشتطون في الطلب ، ويقنعهم من المال قليلة • ان مالـي بأسره رهن اشارتك ، وهو كاف فيما أعتقد ، فان أشفقت أن ينفد كله ، فها هم أولاء نفر من الغرباء يمدونك بما يملكون ، وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغا من المال • وذلك سيبيس وغيره كثيرون ، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم ، اذن فلا تحسب لذلك حسابا ، ولا تتردد في تنفيذ الفرار • ولا تقل كما قلت في المحكمة انك لا تدري ماذا عساك أن تفعل بنفسك ان فررت ، فأني حللت نزلت من الناس منـــزلا

كريما ، وليس ذلك قاصرا على أثينا ، فثمة في تساليا ستجد من أصدقائي حمايــة وتقديــرا ان أحببت الذهاب اليهم ، ولن تصادف بين بني تساليا جميعا فردا يصيبك بالأذى ، ولست أرى بعد هذا كله ما يبرر لك يا سقراط أن تفرط في حياتــك ، والنجاة ميسورة مستطاعة • انك لتلعب بنفسك في أيدي أعدائك وقاتليك ، بل اني لأزعم فوق هذا أنك انما تسيء الى أبنائك ، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمت لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشئتهم وتربيتهم ، فان لــم يصبهم ما يصيب اليتامى عــادة مــن قضاء ، مــا استحققت عندهم مــن الشكر الا قليــلا ، فليس لانسان أن يقذف في العالم بأطفــال لا يحــب أن يستميت حتى النهاية في اطعامهم وتربيتهم ، ولكنك تختار أيسر الامرين ، فيما أظن ، لا أحسن الامرين والصقها بالرجولة ، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعا • حقا اني لأستحي منك بل من أنفسنا نحــن أصدقاءك ، كلمــا دار بخلدي أن قصتك هذه جميعا ، ستنسب الى نقص في بسالتنا ، فما كان ينبغي أن تكون المحاكمة ، أو كان يجب أن تختم بغير ما ختمت به ، وهذه النهاية

التي أراها أسوأ العبث ، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحا ، لما أبديناه من ضعة وخور ، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك ، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك ، لو كنا نملك لأي شيء نفعا (اذ لم يكن القرار أمرا عسيرا) وسيظن يا سقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب علينا وعليك بؤسا وعارا ، فكر اذن في الامر ان لم تكن قد اعتزمت بعد شيئا ، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك الا أمر واحد يجب انجازه هذا المساء ، لو كنت تريد له انجازا ، فان أرجأت أمرك تعذر واستحال ، وعلى ذلك فأنا أتوسل اليك يا سقراط أن تسلس لي القياد وأن تفعل بما به أشير .

سقراط : أي عزيزي أقريطون ! ما أعز حماسك وما أنفسه ، لو كان في جانب الحق ، أما ان كان للباطل فكلما ازداد الحماس اشتعالا ازداد الأمر سوءا ، فلننظر اذن ان كانت هذه الاعمال واجبة الأداء أم ليست كذلك ، فقد كنت دائما ، وما أزال ، من تلك الطبائع التي تلتزم دليل العقل ، كائنا ما كان رأيه ، ما دام يبدو عند التفكير أنه الرأي الأمثل .

أما وقد أصابتني هذه المحنــة فلا يسعني أن أهمل الآن ما ارتأيته قبلا ، فما زالت مبادئي التي طالما أجللتها وقدستها ، تنزل عندي منازل الاجلال والتقديس · فثق أني لن أظاهرك في الرأي ، اللهم الا اذا اهتدينا الآن الى مبدأ يكون خيرا منها · نعم، لن أصغي اليك حتى ولو زادني الدهماء حبسـا ومصادرة وموتا ، ملقين في نفوسنا من أراجيــف الشياطين المفزعة ما نفزع به الاطفال ؟ فأي سبل التفكير أهدى الى بحث هذا الموضوع ؟ أغودا الى رأيك الذي سقته من قبل عما يقول الناس عنــا ، وبعضه يستحق الاعتبار دون بعض كما سبق لنــا القول ، أكنا نصيب لو أننا أخذنا برأيك (وهو أن يقام وزن لما يقول الناس) قبل الحكم بالادانة ، أم هل ينقلب الرأي الذي كان صائبا حينا ما ، كلاما لمجرد الكلام ، ويتبين أنه لم يكن في الواقع الا عبثا اتخذ سبيلا للتسلية واللهو ؟ ابحث معي هذا يا أقريطون : أترى أن لم يعد منطقي الذي اتخذته أولا يلائم على أية حال ما يكتنفني الآن من ظروف، أم لست ترى الامر كذلك ؟ ثم هل هو حقيق عندي بالرفض أم بالقبول ؟ ان كثـيرا ممن يزعمــون لأنفسهم رجاحة الرأي يذهبون فيما أعتقد الى هذا

الذي أشرت اليه من قبل ، وهو أن من الناس بعضا يجدر بآرائهم الاعتبار ، وأما بعضهم الآخر فلا يصح أن يؤبه له • وأنك يا أقريطون لست مقبلا غدا على موت ، أو ليس هناك احتمال بشري بهذا على الاقل ، فأنت اذن حكم صالح ، لا يؤثر فيك الهوى ولا تميل بك ظروفك وموقفك عن جادة الحق • حدثني الآن : ألست مصيبا فيما أزعم ، بألا نقدر من آراء الناس الا بعضها فقط ؟ لقد أخذت بهذا الرأي ، وأنا أسائلك هلا تراني قد اصبت فيما ارتأيت ؟

أقريطون : ليس في ذلك ريب •

سقراط : ألا يجب أن نحفل بما يقوله أبرار الناس دون شرارهم ؟

أقريطون : بلا •

سقراط : وما يرى الحكماء فهو خير ، وما يرى غير الحكماء فهو شر ؟

أقريطون : لا شك في ذلك •

سقراط : لننظر ما قيل في غير هذا الموضوع ، هل يطلب الى طالب التمرينات البدنية أن يصغي الى القدح والثناء ، والى رأي كل انسان فيه ، أم

يجب أن يستمع الى رأي رجل واحد فقط ـ هو طبيبه أو مدربه كائنا من كان ؟

أقريطون : انه يستمع الى رأي رجل واحد فحسب .

سقراط : أينبغي أن يخاف اللوم وأن يرحب بالثناء يوجهه ذلك الرجل وحده ، وألا يأبه للوم الناس ومدحهم ؟

أقريطون : بدهي ما تقول .

سقراط : ويجب أن يعيش ويدرب . وأن يأكل ويشرب ، على نحو ما يبدو صالحا لذلك المعلم الأوحد ، وهو عليم بأمره . فذلك أجدى من السير تبعا لما يراه سوى معلمه من الناس ولو كانوا أجمعين ؟

أقريطون : هذا حق .

سقراط : وأنه لو يعصى هذا الرجل وحده وغض النظر عن آرائه ومدائحه واضعا في اعتباره رأي الكثرة التي لا تفقه من الامر شيئا ، أفلا يعاني شرورا ؟

أقريطون : انه بغير شك يعانيها .

سقراط : وماذا عساها أن تكون تلك الشرور ؟ الام تنحو ؟ وأي شيء تصيب من الشخص المتمرد ؟

أقريطون : لا ريب في أنها ستصيب منه الجسد ، فذلك ما تقوى على هدمه الشرور .

سقراط : ذلك جيد جميل . أليس ذلك حقا يا أقريطون بالنسبة الى الاشياء الأخر ، ولا حاجة بنا الى ذكرها تفصيلا ؟ أينبغي أن نتبع رأي الجمهرة ، ونخشاها في موضوعات العدل والظلم ، والجميل والقبيح ، والخير والشر ، وهي ما نحن الآن بصدد بحثه ، أم نتبع في ذلك رأي الرجل الواحد الـذي يفهمها ، والذي يجب أن يكون له منا هيبة واجلال أكثر مما يكون لسائر الناس أجمعين ، والذي ان نبذنا قوله فانما نهدم في أنفسنا جانبا كان يرجى له أن يقوم بالعدل وأن يسوء بالظلم ، أليس فينا ذلك الجانب ؟

أقريطون : انه موجود يا سقراط ، ولا شك في وجوده .

سقراط : خذ مثلا شبيها بهذا : هبنا انتصحنا بما ينصح به هؤلاء الذين لا يفقهون فأفسدنا من

أنفسنا جانبا ، تصلحه الصحة ويتلفه المرض ـ أفتكون الحياة جديرة بالبقاء ، اذا ما فسد ذاك ؟ وانما أعني به الجسد .

أقريطون : نعم .

سقراط : أفي وسعنا أن نعيش وأجسامنا مصابة بالشر والفساد ؟

أقريطون : كلا ولا ريب .

سقراط : وهل تساوي الحياة شيئا اذا ما فسد من الانسان جزؤه الأسمى ، ذلك الذي تقومه العدالة ويفسده الجور ، أفيمكن أن يكون ذلك العنصر الذي يرتبط أمره بالعدل والجور ـ مهما يكن شأنه في الانسان ـ أدنى منزلة من الجسد ؟

أقريطون : كلا ولا شك .

سقراط : هو اذن أرفع مقاما .

أقريطون : هو أرفع مقاما الى حد بعيد .

سقراط : اذن فلا ينبغي يا صاح أن نأبه لما تقوله الجمهرة عنا ، انما يجب أن نصغي لحكم الحقيقة ، كما نستمع الى رأي ذلك الواحد الذي يفهم كنه العدل والظلم ، فأنت اذن قد وقعت في

الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهماء في الظلم والعدل ،والخير والشر ،والزائن والشائن، سيقول أحد : « ولكن الدهماء في مقدورها اعدامنا » ٠

أقريطون : نعم يا سقراط ، سيكون ذلك بغير شك رد ما تقول ٠

سقراط : هذا حق ، ولكن مع ذلك يدهشني أن أرى الحجة القديمة لا تزال فيما أحسب قائمة قوية كما كانت ، وأحب أن أعرف ان كنت أستطيع أن أقول هذا القول في قضية أخرى ـ وهي أن ليست الحياة حقيقية بالتقدير ما لم تكن قبل كل شيء حياة خيرة ٠

أقريطون : نعم بقي لنا أن نبحث هذه أيضا ٠

سقراط : والحياة الخيرة تعادل العادلة الشريفة ـ أليس هذا كذلك صحيحا ؟

أقريطون : نعم انه صحيح ٠

سقراط : سأنتقل من هذه المقدمات الى البحث عما اذا كان واجبا علي أن أحاول الفرار بغير موافقة الأثينيين ، أم أن ذلك لا يجوز ، فان كنت

على حق صريح في الفرار ، حاولته ، وان لم أكن ، امتنعت • أما سائر الاعتبارات التي ذكرتها عن المال وضيعة الاخلاق وواجب تربية الاطفال ، فهي كما بلغتني ليست الا تعاليم الدهماء الذين لو استطاعوا لما أبوا أن يبعثوا الى الحياة أناسا ، كما أنهم لا يتعففون عن أن يوردوا الحتف أناسا ، وتكفيهم في كلتا الحالتين أوهن الاسباب • أما وقد وصلنا بالجدل الى هذا الحد ، فقد بقيت لنا مشكلة واحدة جديرة بالبحث وهي : هل نكون على حق في الهروب بأنفسنا ، أو في تحميل سوانا عناء عوننا في الفرار ، لقاء نقدهم جزاء وشكورا ، أم لا نكون، فان كانت الأخيرة فلا ينبغي أن يحسب حسابا لموت أو لما شئت من الكوارث التي قد تنجم عن بقائي هنا •

أقريطون : أحسبك مصيبا يا سقراط ، فكيف سبيلنا اذن الى البحث ؟

سقراط : لننظر معا في الامر ، فان استطعت لما أقول تفسيرا فافعل ، وسأقنع بك ، والا فامسك يا صديقي العزيز ، ولا تقل ثانية بأنه يجب علي أن ألوذ بالفرار برغم ارادة الأثينيين وليتني أجد

منك اقناعا ، ولشد ما أرغب في هذا على ألا يكون ذلك مخالفا لما أراه حكما سديدا . وتفضل الآن فانظر في موقفي الاول . وحاول ما استطعت أن تجيب عما أقول •

أقريطون : سأبذل في ذلك وسعي •

سقراط : أفيجوز لنا القول بأنه لا ينبغي لنا قطعا أن نتعمد الخطأ ، أم أن فعل الخطأ مقبول حينا مرذول حينا آخر ، أم أن فعله أبدا شر ووصمة عار كما سبق لي القول الآن وسلمنا بصحته معا ؟ أفننبذ الآن كل ما سمحنا لأنفسنا به منذ أيام قلائل ؟ أم أننا قضينا هذا العمر الطويل ، يحاور بعضنا بعضا في حماسة واخلاص لكي نوقن ونحن في هذه السن بأنا لا نفضل الاطفال في شيء ؟ أم نثق ثقة قاطعة بصحة ما قيل من قبل ، من أن الجور دائما شر وعار على الجائر • برغم ما يرى الدهماء ، وبرغم ما ينجم عن ذلك من نتائج ، حسنة كانت أم سيئة ؟ هل نؤيد هذا ؟

أقريطون : نعم •

سقراط : اذن يجب ألا نفعل الخطأ •

أقريطون : يقينا يجب ألا نفعله •

سقراط : واذا أصابنا الضرر فلا نرده بضرر مثله ، كما تتخيل كثرة الناس ، لأنه يجب ألا نصيب أحدا بضر ٠

أقريطون : واضح أن ذلك لا يجوز ٠

سقراط : ثم هل يجوز لنا أن نفعل الشر يا أقريطون ؟

أقريطون : لا يجوز قطعا يا سقراط ٠

سقراط : وما رأيك في رد الشر بالشر ، وهي أخلاق الدهماء أذلك عدل أم ليس بالعدل ؟

أقريطون : ليس بالعدل ٠

سقراط : فلأن تصيب أحـدا بشر كأن تصيبه بضر ٠

أقريطون : صحيح جدا ٠

سقراط : اذن لا ينبغي لنا أن نأخذ بالثأر ، ولا أن نرد الشر بالشر لأحد ما ، كائنا ما كان الشر الذي ابتلانا به ، وأحب أن تنظر في الامـر يـا أقريطون : لترى هل كنت حقا تعني ما تقـول ، ذلك لأنه لم يأخذ بهذا الرأي يوما ، ولن يأخذ به الى آخر الدهر فريق من الناس كبير ٠ ولا سبيل الى اتفاق بين من يقرون هذا الرأي ومن لا يقرونه ، فما بد من أن يزدري بعضهم بعضا ، عندما يرون

كم بينهم من شقة الخلاف : حدثني اذن : أأنت متفق معي ومؤيدي في مبدئي ذاك ، وهو أن ليس من الحق ايقاع الضر ، ولا الاخذ بالثأر ، ولا رد الشر بالشر ؟ أمسلم أنت بهذا مقدمة لحديثنا ، أم أنت منكر له راغب عنه ؟ لقد كان ذلك مذهبي منذ عهد بعيد ، وما يزال كذلك ، فان كنت ترى غير ذلك رأيا ، فهات ما عندك ، أما ان كنت بعد هذا كله لا تزال عند رأيك الاول ، انتقلت معك في الحديث خطوة أخرى ·

أقريطون : انني ثابت عند رأيي ، فتستطيع أن تسير في الحديث ·

سقراط : سأنتقل اذن الى الخطوة الثانية التي يمكن أن توضع في صيغة هذا السؤال : أينبغي للانسان أن يفعل ما يراه حقا ، أم ينبغي له أن ينقض الحق ·

أقريطون : انه يجب على الانسان أن يفعل ما يظنه حقا ·

سقراط : ولكن ما تطبيق هذا ان صح ؟ ألست أسيء الى أحد اذا تركت السجن برغم ارادة

الأثينيين ؟ أو على الأصح ، ألست اخطيء في حق أولئك الذين ينبغي أن يكونوا من أبعد الناس عن الاساءة ؟ ألا يكون ذلك تطليقا لمبادئي التي سلمنا معا بعدلها ، ماذا تقول في هذا ؟

أقريطون : لست أدري يا سقراط ، فلا أستطيع أن أقول شيئا •

سقراط : اذن فانظر الى الامر على هذا الوجه: هبني هممت بالأبوق ، أو ان شئت فسم هذا العمل بما أردت من أسماء ، فجاءت الي القوانين والحكومة تسائلني : حدثنا يا سقراط ، ماذا أنـت فاعل ؟ أتريد بفعله منك أن تهز كياننا ـ أعني القوانـين والدولة بأسرها بمقدار ما هي في شخصك ماثلة ؟ هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجد من الافراد الا نبذا واطراحا ، أن تقوم قائمتها ، فلا تندك من أساسها ؟ فبماذا نجيب يا أقريطون عن هذه العبارة وأشباهها ؟ وسيكون مجال القول واسعا لكل انسان ! وللخطيب البليغ بنوع خاص ، يهاجمون هذا الشر الذي ينجم عن اطراح القانون الذي لا بد لحكمه من النفاذ • وربما أصبنا نحن : نعم ، ولكن الدولة قد آذتنا ، وجارت علينـا في

قضائها ، هبني قلت هذا •

أقريطون : جميل جدا يا سقراط •

سقراط : سيجيب القانون : أفكان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لزاما عليك أن تصدع لما حكمت به الدولة ؟ فان بدت على من قولهم هذا علائم الدهشة ، فربما أضاف القانون قوله : أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك : وقد عهدناك مسائلا ومجيبا • حدثنا ، ما شكاتك منا ، تلك التي تسوغ لك محاولة هدمنا وهدم الدولة معا ؟ فوق كل شيء ، ألم نأت بك الى الوجود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بعوننا فأعقباك ؟ قل ان كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا ؟ وهنا لا بد من اجابتي أن لا ، أو على أولئك الذين منا ينظمون طرائق التغذية والتربية للأطفال ، وفي ظلها نشأت أنت ؟ ألم تكن القوانين التي نهضت بهذا على حق في أن طلبت الى أبيك أن يدربك في الموسيقى ورياضة البدن ؟ وهنا يلزم أن أجيب أن قد كانت على حق : حسنا ، فان كنا قد أتينا بك الى العالم ، ثم أطعمناك فأنشأناك ، أفأنت جاحد أنك قبل كل شيء ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فان صح هذا فلسنا واياك

سواسية ، فلا تظن أن من حقك أن تفعل بنا ما نحن بك فاعلون ، وهل يكون لك أدنى حق في أن تنال أباك وسيدك ، ان كان لك أب أو سيد ، بالضرب أو بغير ذلك من السوء ، اذا وقع عليك منه ضرب ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر ؟ لا نخالك قائلا بهذا ....

وان كان لا يجوز أن يقسو الانسان على أبيه أو أمه ، فما أوجب أن يكون رحيما على وطنه ، بماذا نجيب على هذا يا أقريطون ؟ القوانين فيما تقول صادقة أم ليست بصادقة ؟

أقريطون : أحسبها صادقة فيما تقول .

سقراط : وستقول القوانين بعدئذ : اعلم يا سقراط ، ان صح هذا ، أنك بهذه المحاولة انما تسيء الينا ، لأننا بعد اذ أتينا بك الى الدنيا ، وأطعمناك وأنشأناك وأعطيناك كما أعطينا سائر أبناء الوطن قسطا من الخير ، ما استطعنا للخير عطاء ، فقد أعلنا فوق ذلك على رؤوس الاشهاد أن من حق كل أثيني أن يرحل الى حيث شاء حاملا متاعه معه ، اذا هو نفر منا بعد أن تقدمت به السن فعرفنا حق المعرفة وعرف على أي الأسس تسير

المدينة وليس فينا نحن القوانين ما يحول دونه أو يتدخل معه في أمره فلكل منكم اذا ما كرهنا وكره المدينة ، وأراد الرحيل الى احدى المستعمرات أو الى أية مدينة أخرى ، أن يذهب حيث شاء ، .... نحن القوانين التي أنت هادمها ، وانك الآن لتفعل ما لا يفعله الا العبد الخسيس ، فتولي أدبارك هاربا من العقود والعهود التي قطعتها على نفسك باعتبارك واحدا من أبناء الوطن ، فأجب لنا أولا عن هذا السؤال : أنحن صادقون في القول بأنك اتفقت على أن تحكم وفقا لنا ، بالفعل لا بالقول فقط ؟ أهذا حق أم كذب ؟ بماذا نجيب عن ذلك يا أقريطون ألسنا مضطرين الى التسليم ٠

أقريطون : ليس عن ذلك منصرف يا سقراط ٠

سقراط : أفلن تقول القوانين اذن : انك يا سقراط ناقض للمواثيق والعهود التي أخذتها معنا على نفسك اختيارا ، فما كنت في أخذها عجلان ولا مجبرا ولا مخدوعا ، ولكنك لبثت سبعين عاما تفكر فيها ، وكنت خلالها تستطيع أن تغادر المدينة ان كنا لم نصادف من نفسك قبولا ، أو كنت قد رأيت فيما اتفقنا عليه اجحافا بك ....

اصغ الينا اذن يا سقراط، نحن الذين أنشأناك ·
لا تفكر في الحياة والابناء أولا ، وفي العدل آخرا ، بل فكر في العدل أولا ، وأرج أن تصيب البراءة عند ولاة العالم الادنى · فان فعلت ما يأمرك به أقريطون ، فلن تكون أنت ولا من يتعلق بك كائنا من كان ، أسعد أو أقدس أو أعدل في هذه الحياة ولا في أية حياة أخرى · فارحل الآن بريئا ، مجاهدا لا فاعلا للرذيلة ، ضحية الناس لا ضحية القوانين ·
أما ان صممت أن ترد الشر بالشر والضر بالضر ، ناقضا ما قطعته أمامنا على نفسك من عهود ومواثيق ، مسيئا الى أولئك الذين ينبغي ألا يمسهم من اساءتك الا أقلها ، أعني نفسك ، وأصدقاءك ، ووطنك ، ونحن فسننقم عليك ما دمت حيا ، وستستقبلك قوانين العالم الأدنى وهي اخوتنا ، عدوا ، لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعا في هدمنا · اصغ اذن الينا ، لا الى أقريطون ·

هذا هو الصوت الذي كأني به يهمس في مسمعي، كما تفعل نغمات القيثارة في آذان المتصوف · أقول ان هذا هو الصوت الذي يدوي في أذني فيمنعني من أن أستمع الى أي صوت سواه ، واني لأعلم أن كل ما قد تقوله بعد هذا سيذهب أدراج الرياح

ومع هذا ، تكلم ان كان لديك ما تقوله .

أقريطون : ليس لدي ما أقوله يا سقراط .

سقراط : ذرني اذن أتبع ما توحي بــه الــي ارادة الله .

« تم الكتاب »



الفهــرس